شرائع محرمة

اسم الكتاب: شرائع محرمة
التأليف: كواعب البراهمي
الطبعة: الطبعة الثانية /٢٠٢٠
إخراج فني: عمرو سالم سواح
رقم الإيداع: 2015/ 9312
الترقيم الدولي: 9789776527003
الناشر: دار زحمة كتاب للنشر والتوزيع
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر
Facebook
Email za7ma-kotab@hotmail.com
Tel 002 01205100596
002
01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار زحمة كتاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل
من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

شرائع محرمة

الكاتبة

لدواعب البراهمي

إلى كل رجل لم يعمل بشرع الله، وحرم الأنثى من ميراثها، وأنشأ عادات وتقاليد، أو سار عليها دون وعي.

إلى كل أنثى لم تطالب بحقها خضوعا وخوفا من مخالفة العادات والتقاليد.

إلى كل إنسان يستحل أخذ حقوق الآخرين

إلى مجتمع ظالم لا يعطي كل ذي حق حقه

إلي الجميع، كلنا مسئولون أما الله .....

فسبب كتابة ذلك الكتاب هو حرمان المرأة من الميراث، ثم تطرقت إلى بعض حقوقها الأخرى في صورة ليست علمية بحتة ولا أدبية بحتة وإنما هي بحث في واقع الحياة وأمثلة يتضح فيها جليا ما يحدث في مجتمعنا من ظلم. ولقد راعيت أن يكون بأسلوب بسيط يستطيع أي شخص قراءته والوصول إلى الهدف منه. فكيف يتجرأ كائنا من كان على مخالفة أمر صدر في القرآن، ويطيع عادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان؟

إلى من يأخذون حقوق الناس

بل إلينا جميعا

كواعب البراهمي

منذ أن خلق الله آدم وحواء، والمرأة هي التي عليها دور الحنان والعطف، وذلك لما حباها الله به من نعم تكمن في الأمومة ذاتها.

وعلي مر الأيام والسنوات أيضا يقدم لنا الرجال أمثلة حية جميلة ورائعة عن الحنان الأبوي الموجود في كل نفس بشرية، وأحيانا يكون حنان الأبوة أكثر بكثير من حنان الأمومة، ولكن تطغي عليه أشياء كثيرة، منها ما هو طبيعي، ومنها ما هو مختلق.

ويوجد كذلك كثير جدا من القسوة في الذكور، سواء كان أب أو أخ أو زوج، وتلك القسوة هي التي تحول الحياة أحيانا إلى جحيم، وربما تكون تلك القسوة عن قصد، وربما تكون عن غير وعي وفهم وإدراك.

وهذه القسوة تتطور إلى مفهوم آخر عند البعض، ففي مجال العمل تتعرض النساء أيضا للقهر ولكن هنا لا تسمي قسوة ولكنها تسمي ظلم وسطو على حقوق الإنسان.

أما القسوة الصادرة والواضحة في تصرفات الأهل فربما يكون منبعها الخوف، فبعض الرجال يقسون على البنت من منطلق أن التربية القاسية تجعل البنت لا تقدم على فعل خطأ، وذلك لأنها تخاف من عقوبة الأهل، خصوصا الأب أو الأخ أو الزوج.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه فعلا يوجد كثير جدا من البنات لا تفعل الخطأ خوفا، وليس إقناعا بأنه خطأ، ولقد شاهدنا جميعنا أمثلة واقعية كثيرة على ذلك، فعندما كنا بالجامعة فتيات كثيرات كانت ترتدي ملابس غير مقبولة وتضع المكياج وتفعل أكثر من ذلك وهي في الغربة، ولكن عند العودة إلى بلدها تغير كل شئ، وتسافر بالحالة التي أتت بها من موطنها.

وكان أغلب اللاتي كن يفعلن ذلك، من البنات ساكنات القرية حيث أن الحياة تختلف تماما في القرية عنها في المدينة. وإن كان تغير حاليا كثير من القري بعد دخول الإنترنت والقنوات الفضائية، وبعد أن أصبح التعليم سائدا، وتوافر كل أجهزة الاتصال عبر النت، كما أن الأجيال تغيرت عندها المفاهيم، وبعض هذا التغيير إيجابي، والبعض الآخر سلبي.

وأحب أن أشير إلى أنه عندما فكرت في كتابة ذلك الكتاب كان الغرض من وراء ذلك هو الحصول على السعادة التي أصبحنا نفتقدها كثيرا في المجتمع، والحصول كذلك على الحقوق المهضومة، والرغبة في التعبير والمطالبة بالحق، فما ضاع حق وراءه مطالب.

والرغبة أيضا في الحصول على قدر من التفاهم بين الجنسين نفتقده حاليا، وأثبتت الأيام إن السعادة تكمن وتبدأ في تطبيق ما أمر الله به، والمشكلة أن كثيرين لا يعرفون ما هو الذي أمر الله به أو يعلمون ويتجاهلون عن عمد.

ولذلك أردت أن أتحدث عن أمور كثيرة جدا نعدها من الصغائر في حياتنا ولكنها للأسف ينتج عنها مشاكل كبيرة.

وقررت أن أبدأ من البداية ومن التنشئة الأولي وأردت أن أتناول في البداية ما يحدث مع المرأة ومع الفتاة منذ كونها طفلة صغيرة، وربما حتى تترك الحياة إلى مثواها الأخير.

وبداءة أحب أن أوضح أن السبب الرئيسي في كتابة هذا الكتاب هو رغبتي في حصول المرأة على حقوقها كاملة، ورغبة مني في أن تعرف المرأة ما هي الحقوق التي لها في المجتمع، وما هو السبب في كونها لا تستطيع الحصول على تلك الحقوق.

فبالرغم من أن المرأة تدعي دوما أنها حصلت على المساواة إلا أنها في الواقع هي مساواة ظاهرية، وليست مساواة حقيقية، بل على العكس فأنا أري أن المرأة ربما ما حصلت عليه هو إضافة أعباء جديدة على الأعباء الملقاة على كاهلها منذ البداية.

وتبدأ القصة عندما أقنعها الرجل أن مكانها الأساسي البيت حيث خدمته وحيث تربية الأطفال وفقط – بل أن كثيرات لا يعرفن ما لهن من حقوق تجاه الزوج وبهذا الجهل الذي أحاط به الرجل المرأة تمكن من استغلال كل مقدراتها لصالح نفسه، مقنعا إياها بأنه هو صاحب الحق في منح الحقوق وبالطريقة التي يراها. وأصبحت ترتضي منه القليل بعد أن أوهمها أنه المانح لتلك الحقوق.

ربما كان ذلك مقبولا في السابق لأن المرأة كانت تقوم بكل خدمات المنزل. وذلك لان عمل الرجل هو اصطياد الحيوانات والعمل بالفلاحة في الحقل. وتعتبر تلك الأعمال من الأعمال الشاقة

التي لا تستطيع المرأة القيام بها، لتكوينها الجسماني.

وإن كانت أيضا جسمانيا تتحمل مالا يستطيع تحمله الرجال فيكفي قدرتها على تحمل جنين ينمو وينمو تسعة أشهر والقيام بإرضاعه والسهر لأجله ليالي طويلة.

ثم بمرور الزمن تطورت الحياة، وأصبحت النساء الآن تعمل أيضا في الحقل يدا بيد مع الرجل، بل أن في عصور النهضة في أوروبا كانت المرأة تعمل بالمصانع ضعف عدد ساعات عمل الرجال، في عمل شاق، حتى المحاجر عملت بها، وأنها تعرضت لضغوط كثيرة جدا في العمل.

بل إذا أردنا القياس لوجدنا أن المرأة العربية كان على عاتقها مجهود أقل من المرأة في عصر النهضة في أوروبا ولم تسكت النساء في المجتمع الأوروبي، حيث إنها بعد أن خسرت كثير من صحتها وتعرضت لمشاكل صحية خطيرة ووصلت بها إلى زيادة عدد الوفيات، ثارت على تلك الأوضاع وتظاهرت، وأجبرت الدول على تقنين ساعات العمل، والاهتمام بصحة النساء، وما أردت قوله هنا: أن المرأة كانت تعمل أضعاف عمل الرجل، ومع ذلك يوهمها الرجل بأنه صاحب السيادة.

وحاليا وحتى في عصر خروج المرأة للتعليم وللعمل فما زالت تتعرض المرأة في مصر وفي الوطن العربي خاصة وفي العالم عامة لأقسي أنواع العنف – ولا أقصد بكلمة العنف، العنف الجسدي – ولا أريد أن يتطرق إلى الأذهان عندما أكتب العنف ضد المرأة فأنني أقصد بذلك ضرب المرأة أو العنف ضد جسدها.

وإن كانت المرأة تتعرض إلى عنف جسدي ولكن بطريقة مختلفة، ممتزج بعنف ضد الروح وان العنف الجسدي هو فقط أحد أنواع العنف الذي تتعرض له المرأة.

وهذا العنف الذي تتعرض له المرأة متدرجا فهو يبدأ بالعنف اللفظي أو حتى بالتجاهل وينتهي بالضرب أو القتل، وما بينهما العنف اللفظي وهضم الحقوق والحرمان من الميراث، وحتى الحق في اختيار الزوج فإنها مازالت في بعض الأماكن تحرم منه.

وكنت أظن سابقا أن المرأة في بعض قري الصعيد يتم حرمانها من الميراث على أساس إنها أنثي، والأنثى بالصعيد نشأت منذ قديم الأزل على وضع خاص، ولكنني اكتشفت أن هذا الحرمان يمتد إلى كل الدول العربية وليس في مصر فقط.

وهذا الحرمان لا أعرف اي من الأعراف أتي به؟ فهو غير موجود في سنة ولا أساس له في القرآن الكريم.

وسوف نتناول العنف ضد المرأة والذي في مجمله ما هو إلا تفرقة بين الرجل والمرأة، بل بين الذكر والأنثى.

ولابد أن أذكر أنه بعد أن انتهيت من كتابة الطبعة الأولي وقبل طباعتها كنا في الأيام الأوائل من شهر مارس، حيث يوم المرأة العالمي الموافق الأحد الثامن من مارس عام ٢٠١٥، وجلست أتذكر أي حقوق قد حصلت عليها المرأة حتى تلك اللحظة، لنجعل لها يوما في العام تحتفي فيه أو تحتفل به.

ولكن ما هي إلا شعارات وحفلات إعلامية. ولو ذهبنا إلى تلك النساء اللاتي يظهرن محتفيات ومحتفلات باليوم العالمي للمرأة ولوجدنا في حياتهن الخاصة أو حياة أي أنثي قريبة منهن تتعرض للعنف من أي نوع فقط لكونها أنثي.

أما عن سبب الاحتفال بيوم المرأة العالمي فلابد أن نذكر سببه ولا يجوز أن يكون الكتاب كله عن المرأة ونترك هذا الأمر دون الحديث عنه.

لكي تعرف المرأة ما هو اليوم العالمي لها؟ وما سبب اختيار ذلك اليوم واعتباره يوم عيد تحتفل به دول العالم وتعتبره يوم عالمي للمرأة؟

البداية أن المرأة دفعت ثمنا غاليا لذلك. وذلك لأن النساء كانت تعمل عاملات في المصانع في أوروبا وأمريكا في عهد الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر والتي قامت أساسا على مجهود المرأة وصحتها، وقد عانت نساء كثيرات جدا من الأمراض المعضلة، وكثيرات فارقن الحياة متأثرات بالمرض، حيث أن النساء كانت تعمل عملا متواصلا يصل إلى ستة عشر ساعة يوميا. ومع ذلك لم تكن تحصل على أجر مرضي ولا رعاية صحية.

فقامت النساء بأول ثورة في عام ستة وخمسين وثمانمائة وألف (١٨٥٦) للمطالبة بخفض ساعات العمل، واحتجاجا على الظروف اللا إنسانية التي يجبرن عليها في العمل ولكن هذه الثورة تم قمعها. ثم شيئا فشيئا بدأ المسئولون في أمريكا بطرح مشكلة المرأة العاملة على جدول الأعمال اليومي.

ثم في ثمانية وتسعمائة وألف (١٩٠٨) قامت النساء في أمريكا بثورة أطلقوا عليها ثورة الخبز والورود فقد كانت تمسك النساء بيد الخبز وباليد الأخرى الورد (شيء محزن فعلا ذلك الخوف من المطالبة بالحق) حيث قامت الثورة للمطالبة بتخفيض ساعات العمل من ١٦ ساعة إلى ١٠ ساعات.

ولكن البوليس تصدي لهن وعاملهن معاملة وحشية وسقطت أكثر من مائة وثلاثين امرأة شهيدة ذلك اليوم بعد أن تم إطلاق النار عشوائيا عليهن لفض التظاهرة.

ثم في عام عشرة وتسعمائة وألف (١٩١٠) تم تنظيم أول مؤتمر دولي للنساء في كوبنهاجن والذي شاركت فيه مائة امرأة من سبعة عشر دولة.

أما في ألمانيا والدنمارك وسويسرا والتمسا فقد بدأ الاحتفال باليوم العالمي للمرأة في التاسع عشر من مارس ١٩١١.

وفي روسيا لم تكن النساء أسعد حظا فقامت بمظاهرات الخبز والسلام في سبعة عشر وتسعمائة وألف (١٩١٧) وقد تم تحديد يوم الثامن من مارس يوم المرأة الروسية حيث حصلت المرأة على حقها في التصويت.

أما أوروبا فبدأ الاحتفال باليوم العالمي للمرأة في عام خمسة وأربعين وتسعمائة وألف (١٩٤٥). حيث أنعقد أول مؤتمر للاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي في باريس.

وفي عام خمسة وسبعين وتسعمائة وألف (١٩٧٥) قامت منظمة الأمم المتحدة بإصدار قرارا يدعو العالم إلى اعتماد يوم

الثامن من مارس يوما عالميا واختياره للاحتفال بيوم المرأة العالمي سنويا لما لهذا اليوم من رمزية تظهر النضال الذي خاضته المرأة في العالم كله.

أما يوم المرأة في مصر فكان بسبب استشهاد بعض النساء في المظاهرات التي قامت للمطالبة بعودة سعد زغلول من المنفي وتنديدا بالاحتلال البريطاني. حيث خرجت النساء للتظاهر مثل الرجال.

واستشهدت شفيقة محمد حيث سقطت برصاصة في بطنها أمام مقر المعتمد البريطاني عندما كانت تحمل علم مصر بيد وبيان الاحتجاج باليد الأخرى.

وسقطت الشهيدة حميدة خليل برصاصة في صدرها أمام مسجد الإمام الحسين ﷺ ولا يعلم يقينا من منهما استشهدت أولا. وقد تم اختيار يوم السادس عشر من مارس من كل عام يوم المرأة المصرية.

ولا يسعنا أن نقول إن النساء قد دفعت النساء ثمنا غاليا للحصول على هذا اليوم العالمي الذي هو تتويج لإنجازاتها واعتراف بفضلها.

ولكنه في الواقع تلك الاحتفالات ما هي إلا شعارات وحفلات إعلامية، ولو ذهبنا إلى داخل تلك النساء اللواتي يظهرن محتفيات ومحتفلات باليوم العالمي للمرأة، لوجدنا في حياتهن الخاصة أو حياة أية أنثي قريبة منهن نوعا من العنف تتعرض له، فقط لكونها أنثى.

الباب الأول

قال تعالى:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]

كما قال ﷻ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال في حديث قدسي (يا عبادي أني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا.....)

والغريب أن الدين الذي هو ملاذا للبشر من ظلم بعضهم البعض لم يصبح الآن هو الملاذ، وذلك ليس لنقص بالدين حاشا لله.

ولكن لأن بعضا من رجال الدين أحيانا يأتون بفتاوي ما أنزل الله بها من سلطان.

وأني لأتساءل أين سوف يذهب هؤلاء الناس بفتاواهم؟

فأغلبهم كل ما يفعلونه أنهم يضللون البشر ويضعون فتاوي تناسب أحوالهم هم الشخصية، فلا يراعون حق الله في البشر، ويقوم الغير بإتباع تلك الفتاوي.

وأود أن أقول لهؤلاء الناس سوف يذهبون بما أفتوا وبما أحلوا وحرموا إلى جهنم وبئس المصير، وذلك لأن الأمر أو الذنب لم يتعلق بهم شخصيا ولكنه امتد إلى آخرين ومنح ضلالا، وحرم حقوقا، وتسبب في آلام لكثير من البشر.

وقبل الخوض في الحديث عن المرأة والبنت والتمييز بينها وبين الذكر في كل شئ فأنني أود أن أعترف وبصدق، فقد عهدت على نفسي الصدق فيما أكتب.

وأنني مثل كل نساء الصعيد تري في الذكر الحماية من نوع ما، والحنان من نوع ما، وأقصد هنا الصعيد على وجه الخصوص لما به من تمييز في اشياء كثيرة بين الرجال والنساء وأود أن أذكر أيضا وبصدق أنني تمنيت أن يكون لدي أبن ولد، وبالرغم من حبي للبنات أو بمعني أدق لو كان لي أن أختار أن يكون لي مولود واحد ولد أو بنت لاخترت أن يكون لدي ولد.

وليس معني ذلك أنني أشعر بنقص ما، فأنا مقتنعة من داخلي أن الولد أو البنت هي هبة من عند الرحمن وأن الخلق كلهم خلقوا مع خلق سيدنا آدم.

أي أن الذرية مكتوبة في السماء لا تغير ولا تتبدل. حتى أن أسماءهم موجودة قبل نزول آدم إلى الأرض. ولكن حبي لأن يكون لدي أبن فإن تلك هي أحدي قناعاتي.

أو لأنني تربيت ونشأت على أن الولد أو الرجل هو مصدر حماية، فالبنت تحتمي بأبيها أو أخيها أو زوجها أو عمها أو خالها، وحتى الأم تحتمي بأبنها الذكر رغم أنه أصغر منها بكثير.

ولذلك دوما نجد أن الأم عندما تسافر أو تريد الذهاب لأي مكان أبعد عن بلدها أو لظروف السفر ليلا تصطحب معها أبنها الذي ربما لا يجاوز عمره السادسة عشر عاما لأنها تجد فيه الحماية، وأن كانت الحماية تكون مطلوبة أيضا من بعض شرار الذكور، فلو كان يوجد

الأمان في الطريق ما احتاجت المرأة لشخص معها.

بدليل أن الفتاة تسافر حاليا إلى أبعد البلدان دون أن يكون معها رجل وذلك بسبب توافر الأمان والأمن.

وما أردت بتصريحي هذا فيما كان بداخلي أنني أقصد أن أقدم قدرا زائدا من الحب لأي طرف ولكن ما أردته هنا في هذا الكتاب هو تحقيق العدل، والعمل بقانون السماء في المساواة بين الأبناء سواء الذكور أو الإناث.

وأعترف أيضا أني قررت في البداية أن أختار لكتابي هذا عنوان الحرمان وذلك لأنني عندما فكرت في اختيار ذلك العنوان فأنني كنت أقصد به الحرمان الذي تتعرض له المرأة من كل الحقوق أو من بعض الحقوق.

وسبب اختياري لفظ الحرمان لأن من لا يستطيع الحصول على شئ هو ليس له فلا يسمي ذلك حرمانا.

ولكن الحرمان يكون من حق طبيعي في الحياة ولكن الغير يحرمك منه فهو حرمان نابع من قدرة الآخرين، وهو حرمان ناشئ من القوة والسطوة والسلطة، ومن القهر أيضا.

ولكن لوجود خلاف فيما بين الواقع والشرع في أشياء كثيرة – فقد قررت أسميه شرائع محرمة.

*****

الباب الثاني

زواج المكره باطل وطلاق المكره لا يقع

لا إكراه في زواج ولا إكراه في طلاق،

ولا تحليل لما حرم الله ولا تحريم لما أحل الله

والمرأة بين سندان العادات والتقاليد

وبين مطرقة الشرع والقانون،

ولا حياة لمن تنادي.

*****

الباب الثالث

ربما من ضمن ما أردت طرحه في هذا الكتاب أن أنتقد بعض رجال الدين الذين يفتون فتاوي ما أنزل الله بها من سلطان، فأين سيذهب هؤلاء الناس بفتواهم يوم القيامة، فربما يفتي شخص بفتوي يأخذ وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم الدين، وبعض رجال الدين يفتون بناء على مشاعرهم الشخصية ومواقفهم هم مع زوجاتهم، فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله.

وأذكر أن هناك حديث دائما ما يذكره الرجال (وهو أنه إذا باتت المرأة وزوجها عنها غاضب إذا لم تستجب له لعنتها الملائكة حتى تصبح) فدائما يركزون على هذا الحديث ودوما ما يستندون إليه في كل صغيرة وكبيرة.

ولا يناقشون وماذا لو باتت المرأة وهي تريد من زوجها حقها الشرعي؟ وأهملها؟ أو رفض فماذا هي تفعل؟ وهل سيدخله الله الجنة على هذه الأفعال؟

فبعض الرجال يفعلون ما يشاءون. فمثلا قد يكون متزوجا من أخري سواء تعلم زوجته الأولي بذلك أو لا تعلم، ويقضي حياته هو كيفما يشاء، ويترك هذه الزوجة معلقة لا هي متزوجة تحيا حياة المتزوجات ولا هي مطلقة، أو يتركها لتتزوج غيره لتعيش الحياة.

كثيرين جدا بل تقريبا كل الرجال ينظرون للمرأة على أساس أنها جزء من ممتلكاتهم، فهو لا يريد لها أن تتزوج غيره، ولا يعطيها حقها وهي معه، وحتى بعد الطلاق لا يريد لها أن تتزوج بعده.

كنت يوما أجلس بالمحكمة انتظارا لبدء الجلسة، وسمعت أثنين من زملائي يتحدثان بصوت عادي فكان كلامهما واضحا، وقال أحدهما للآخر أنه أنتوي الزواج في الخليج، فسأله الآخر وماذا لو علمت زوجتك في مصر وطلبت الطلاق؟

فكان رده وتتطلق ليه؟ تقعد تربي أولادها، أزاي تترك الأولاد أو تطلب الطلاق، هي ناقص عليها أيه؟ أنا أرسل لها المصاريف كل شهر.

وكان نفسي أتدخل ولكن يمنعني طبيعتي وشخصيتي وحيائي.

تمنيت أن أسأله وهل الزواج هو مبالغ مالية فقط؟ وهل أنت تعيش حياتك بالغربة مستمتعا تجد من تتحدث معه ومن تعيش معه، وتترك زوجتك للوحدة والاحتياج العاطفي.

ما كل هذا الظلم! وما كل تلك الأنانية! والأغرب أنه عندما تعلم الزوجة بزواج زوجها وتطلب الطلاق فأنه يحاول الوصول إلى أي وسيلة للضغط عليها للبقاء معه وتحت إرادته.

وحتى ولو لم يكن ما بينهما زواج بالمعني الطبيعي للزواج، وحتى لو كانا في شقاق دائم.

ودائما ما كنت أجد صعوبة بالغة في قضايا التطليق، حيث أن القانون، حدد حالات المطالبة بالطلاق، وهي حالات كلها مادية، وليس فيها الطلاق بسبب الضرر النفسي، أو إهمال الزوج لحقوق

زوجته الشرعية.

وأود هنا أن أذكر قصة واقعية حدثت معي في مجال عملي حيث أنني ذات يوم كنت موكلة في قضية تطليق. وكنت خارج مصر وموكلتي غير مصرية، وكانت موكلتي قد خسرت تلك القضية أمام المحكمة الابتدائية، وكانت هذه أول جلسة في الاستئناف، وسألتها هل تريدين الطلاق فعلا؟ فقالت لي وهو أنا رافعه دعوي ليه؟

فقلت لها بعض النساء ترفع الدعوي ولكنها في النهاية لا تريد الطلاق حقيقة ولكن قد تريد تخويف الزوج بأنها قد تترك حياته فيغير من سلوكه معها خشية أن يخسرها.

فقالت لي: إنها تريد الطلاق فعلا ومصممة عليه، حيث أن هذا الرجل لا يعطيها حقها الشرعي منذ عام وربما أكثر، وعندما يريد هو حقه الشرعي فأنه يأتيها بأي مكان تكون فيه بالمنزل ويأخذ حقه الشرعي من حيث حرم الشرع. ويتركها وكأنها حيوان.

فقلت لها: لماذا تقبلي ذلك وتوافقين عليه؟

فقالت: أنا لا أوافق، ولا أقبل، ولكنه رغما عني يفعل ذلك، ويأخذ ما يريد عنوة.

والذي لفت نظري هنا ليس القهر الذي تتعرض له الزوجة من الزوج فقط، ولكن القهر الذي يفرضه عليها أهلها، فقد أخبرتني أن أمها تحديدا تقول لها أنت حلال له، واجلسي في بيتك ولا تخرجي واعطيه حقوقه.

وأصابني ما سمعت بالغثيان وبضيق شديد لعدة أيام. كيف تستطيع امرأة أن تعيش وكأنها إناء قذر لتفريغ رغبات رجل.

وبالجلسة كان أول ما قلته لهيئة المحكمة: (أن بقاء تلك المرأة مع هذا الرجل سيدفعها للخيانة وللبحث عما تريد بعيدا عنه وأن الله سيحاسبنا عليها يوم القيامة، وأن ذنبها في رقبة المحكمة إلى يوم الدين.

وعندما طلبت من المحكمة أن تطلب من الزوج القسم، فإن الزوج لم ينكر وحصلت على تطليقها بالجلسة الأولي).

وأذكر في بداية عملي أيضا وأنا صغيرة جاءت زوجة لا يصل عمرها إلى العشرين عاما وكانت حاملا، وقالت إن زوجها الشاب تزوج عليها بعد شهر واحد من زواجهما، ولا أدري ما هو سبب الزواج المبكر جدا هذا؟

وقالت إنه يهملها ولا يعطيها حقوقها كزوجة، لا أعرف لماذا الغالبية العظمي من الرجال تستهين بحقوق النساء، ولا تطبق شرع الله المنزل من فوق سبع سموات.

كثيرة جدا الأحاديث النبوية التي ترشد الزوجين للعلاقات الصحيحة ولكن الرجال جهلا منهم أو أنانية لا يريدون تطبيقها وعلماء الدين لا يذكرونها ولا ينصحون بها.

وبالرغم من أن حصولي على حكم بالطلاق لأي موكلة تعاملت معها، إلا أنه لم يكن يسعدني الطلاق. وحتى وبالرغم من كوني أشعر بأني حققت الحرية لإنسانة جاءت تبحث عنها من خلال القضاء.

ورأيت كثيرا وسمعت كثيرا في المحاكم مشاكل يقشعر لها البدن. وأذكر أيضا في بداية عملي عندما كنت صغيرة، كنت أعيش مع الزوجة التي تطلب الطلاق حالاتها، وتتحول حياتي إلى تعاسة، وتتوقف حياتي الشخصية، ويصيبني الاكتئاب.

ولكن بعد أن كثرت القضايا، وأحسست أن الحياة مملوءة بالمشاكل تأقلمت مع تلك المشاكل، وأصبحت طاقة احتمالي أكبر، مثل الطبيب الجراح الذي يخرج من غرفة العمليات، ويتعامل مع الذين تعرضوا لحوادث وتشوهات، ثم يعود لمنزلة فيتناول غداءه، ويستمتع به ويعيش مع زوجته وأولاده، دون أن يكون لما رأي أثر على نفسيته أو على شهيته.

وأعود للحديث عن رجال الدين، حيث أنهم عليهم مسئولية كبري في إرساء المبادئ العامة لسلوكيات الرجال مع النساء.

ودائما ما أسأل نفسي لماذا لا يتذكر الرجال ولا يستعين رجال الدين في فتواهم بما ورد عن أسلوب تعامل الرجال مع النساء وما يجب عليه أن يكون؟

فهناك أحاديث كثيرة جدا في ذلك، وهل كان رسول الله أفضل خلقا مع أي شخص أكثر من خلقه في سلوكه مع زوجاته. وقد ترك لنا أحاديث كثيرة توضح حسن سلوك الرجل مع زوجته.

ولكن للأسف لا يتم العمل بهذه الأحاديث، ولا يستعان بها في إصلاح الفجوات عند حدوث مشكلة للرجل مع زوجته.

ولكن الذي يذكرونه دائما للرجل حديث واحد فقط، أنهن ناقصات عقل ودين.

وربما ذلك أيضا من النقص الداخلي الموجود بداخل هؤلاء الناس، فإنه يعرف ويعلم أن الرجل مثله لا يسمح له غروره بأن يعترف بأنه مخطئ.

فبدلا من حل المشكلة بطريقة حيادية يلجأ إلى إلصاق تهمة نقص العقل والدين لينهي المشكلة أو يوفق بين الزوجين.

وليرضي نفسه بأنه متسامح مع المرأة لأنه أكثر منها عقلا وأكثر منها دينا، أما هي فهي ناقصة عقل ودين.

صحيح أن المرأة غالبا ما يمكن التأثير عليها بسهوله إذا جئنا لها من ناحية المشاعر، ولكن ليس معني ذلك أنهن ناقصات عقل ودين، بل لأنهن يثقن بالرجال، وكل امرأة تحب أن تسمع كلمة حب فترضيها وتجعلها تنسي مشكلتها والنقص الذي في حياتها أو تقصير زوجها معها في أي ناحية من نواحي الحياة.

ولكن دوما الأزواج لا يهتمون لتلك الأشياء البسيطة جدا، والكلمات الحانية والمؤثرة، والتي من الممكن أن تنهي أي خلاف.

وذلك أيضا ينطبق على رجال الدين أو الذين قاموا بحل المشكلة، لا يعرفون حتى كيفية حلها، بأبسط الكلمات.

ولا أدري لماذا لا يتم ذكر تلك الأحاديث الموجودة في ديننا عندما نريد الإصلاح ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا).

رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)

رواه الترمذي.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ).

رواه أحمد وحسنه النووي في "رياض الصالحين".

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَادِمًا وَلَا امْرَأَةً قَطُّ.

وعن عبد الله بن زمعة قال ﷺ: لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم.

صحيح البخاري

لقد اوصى الرسول ﷺ بذلك، اوليس من حقها ان تحترمها؟ تقدرها؟ ولا تنقص عليها قوتا او حاجة؟

ولقد ورد في الأثر: فو الله لو اغضب زوجا زوجته وقفى عنها راحلا تاركا اياها حزينة فان الله يكتب له في كل خطوة لعنة ويبعد عنه رزقه ويقلل من عافيته ويكتب له من كل دمعة من عينيها ألف جمرة في كل ليلة نصفها في الدنيا والنصف الاخر في الاخرة.

أما الحديث الأشهر عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ.

فَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قِصَّةً. فَقَالَ: أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ.

فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا. أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا

فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ.

أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَمَعْنَى قَوْلِهِ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ يَعْنِي أَسْرَى فِي أَيْدِيكُمْ.

أما نقص العقل والدين الذي جاء في الحديث الشريف فقد تم شرحه، حيث أن نقص العقل حيث أنه في الشهادة تكون شهادة الرجل تساوي شهادة امرأتين.

أما نقص الدين فهو عدم قدرتها على الصيام والصلاة دوما – حيث أن الحائض والنفساء لا تؤدي الصلاة التي تسقط عنها بسبب الحيض والولادة.

والمرأة في عصر الإسلام كان لها دور كبير، عكس ما حدث بعد ذلك من فرض قيود على حركة النساء، وإجبارهن على المكوث بالمنازل دائما.

وقد كانت النساء قبل الإسلام تعمل، فالسيدة خديجة أم المؤمنين كانت صاحبة رأس مال وتدير تجارة لها. ووقفت بجوار زوجها ﷺ كأكبر مساند له في بعثته.

ولقد أثبتت الأيام على مر التاريخ أن النساء يتفوقن كثيرا على الرجال، في كل مجال، في الطب والهندسة، وفي الفكر، وفي أي مجال من مجالات الحياة.

وأن تقصير المرأة أحيانا يكون بسبب أنها تريد أن تقوم بواجب الأمومة وواجباتها تجاه زوجها، فيطغي الجانب العاطفي منها على العقل، وبدلا من أن يشكروا لها ذلك، فأنهم يتهمونها بنقصان العقل.

كما أن بعض الرجال عندما يجد أن زوجته ستتفوق في مجال ما فأنه يضع لها العراقيل، فيكثر من طلباته بالمنزل ويتهمها بالتقصير دوما كي يستنفذ طاقتها في عمل البيت، فتفشل فعلا خارج البيت.

وليست تلك هي المشكلة، المشكلة الأكبر أن كل الناصحين سواء رجال أو نساء يشيرون عليها ويقولون لها: بيتك أولي من عملك.

ولكن عندما تحدث مشاكل، ولا يستمر الزواج وتنفصل عن الزوج سواء برغبتها أو رغما عنها فعندئذ لا تجد الزوج ولا العمل وفعلا تصبح مشردة، وتكون بلا دخل تنفق منه وأحيانا بلا مأوي أيضا.

*****

الباب الرابع

وسوف نعرض هنا لما تتعرض له المرأة أو الفتاة من تفرقة في أغلب مجالات الحياة وسوف نكتب أمثلة مما تتعرض له المرأة من التفرقة وذلك موجود في كل دول العالم، حتى الدول الأجنبية وليست الدول العربية فقط أو الدول المسلمة.

أن المرأة للأسف في نظر الرجل كائن حي أقل درجة لا يعبأ به ولا يهتم وذلك المفهوم متوارث، ولكن قبل أن نتطرق إلى التفرقة بشكل موضوعي، أحب أن اذكر بعض الأمثلة على ما كانت عليه المرأة في الإسلام وما عادت إليه المرأة الآن من حياة الجاهلية.

فلا أدري لماذا لا يحترم الرجل رأي المرأة وان الرجال غالبا لا يميلون إلى أخذ برأي النساء في كل الأمور مظنة منهم أن النساء غير قادرات على اختيار الرأي السليم والسديد.

ولكن سوف نذكر هنا مثالين كبيرين واضحين على رجاحة عقل المرأة وحسن تقديرها للأمور:

المثال الأول:

عندما أراد الرسول ﷺ الذهاب إلى مكة وكان معتمرا هو والصحابة وكل من معه. ولكن منعته قريش من دخول مكة، وطلبت منه الرجوع إلى المدينة على أن يعود في العام القادم.

فوافق الرسول على ما طلبته منه قريش ثم طلب من الصحابة التحلل من الإحرام فلم يستجب بعضهم، وعندها سأل الرسول أم

المؤمنين السيدة / أم سلمة فأشارت عليه بالرأي السديد فقد كانت «أم سلمة» مع رسول الله - ﷺ - فى رحلته إلى مكة حيث تم صلح الحديبية والذي وصفه القرآن الكريم بالفتح المبين.

وكان لها دور جليل يذكره التاريخ وكانت نموذجاً للمرأة صاحبة العقل الصائب والفضل في حفظ كيان الجماعة من التصدع.

وهذا الموقف يثبت أن المرأة عنصر فعال وحيوي، ويوضح الدور قامت به المرأة في حفظ جماعة المسلمين، ووقايتها لهم من التدهور إثر الأزمة النفسية التي انتابتهم بعد شروط صلح الحديبية وعودتهم للمدينة دون دخول مكة.

فهذا الموقف اعتبره بعض المسلمين نوعاً من الذلة... وحين طلب منهم الرسول - ﷺ- قبل عودتهم إلى المدينة أن يحلقوا رؤوسهم ويذبحوا الهدى تحللا من الإحرام لم يفعلوا ومنهم صحابته.

فكررها ثلاث مرات فلم يقم أحد منهم فدخل الرسول صلي الله عليه وسلم على (أ م سلمة) رضي الله عنها غاضباً قائلاً: هلك المسلمون وأخبرها ما حدث.

وكأن الله تعالى أنطق الحل لهذه الغمة على لسان حواء الذكية الحكيمة حيث ردت قائلة: يا نبي الله أتحب ذلك؟

أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك..

فخرج رسول الله - ﷺ- فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بيده ودعا حالقه فحلقه..

فلما رأوا ذلك منه قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق لبعض حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.

والمثال الآخر:

عندما أراد سيدنا عمر ﷺ أن يقلل المهور في الزواج، فقد رُوِيَ عن الشعبي قال: خطب عمر بن الخطاب ﷺ في الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: ألا لا تغلوا في صداق النساء، فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سيق إليه. إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل، فعرضت له امرأة من قريش، فقالت:

يا أمير المؤمنين، أكتاب الله أحق أن يتبع؟

أو قولك؟

قال: بل كتاب الله تعالى، فما ذاك؟

قالت: نهيت الناس آنفًا أن يغالوا في صداق النساء،

والله تعالى يقول في كتابه: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ سورة النساء: ٢٠

فقال عمر ﷺ:

كل أحد أفقه من عمر، مرتين أو ثلاثًا، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: إني كنت نهيتكم ألا تغالوا في صداق النساء ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له.

وفي رواية أخري أنه قال: اللهم غفراً كل الناس أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر

فقال: أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب.

قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل.

وفي هاتين الروايتين لمثل عظيم على دور المرأة في التشريع أو تطبيق الشريعة.

ولكننا نجد الرجال في هذا الزمان لا يريدوا أن يستمعوا للمرأة في أي شيء، ولو افترضنا أنه لا يريد الأخذ برأيها فالاستماع في حد ذاته إلى المرأة يرضيها ويشعرها بالحب.

*****

الباب الخامس

الفارق في المعاملة بين البنت والولد

سوف نعرض هنا لما تتعرض له المرأة من تفرقة بينها وبين الرجل - وتبدأ منذ الطفولة الأولي، بل تبدأ منذ قدومها للحياة.

التفرقة الأولى: التربية

تبدأ التفرقة بين الولد والبنت منذ الولادة حيث قال الله تعالي في القرآن ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ ويقصد بقوله تعالى: وإذا بشر أحدهم بالأنثى أي أخبر أحدهم بولادة بنت.

أي حتى قبل أن يراها، وربما ذلك كان في كل طوائف البشر، حتى المجتمعات غير العربية

ولو لاحظنا في حياتنا العادية كثيرا ما تتعمد الأم وكذلك الأب الاحتفاء بالمولود الذكر، حيث تري الأم أن الله قد نصرها بهذا الولد.

وأن زوجها لن يقدم يوما على الزواج من أخري من أجل إنجاب الولد، فوجود الولد الذكر في حياة الأم يحقق لها قدرا من الأمان وإن كان ذلك من وجهه نظرها هي، حيث يكون المولود الذكر سببا في استمرار حياتها الزوجية مع زوجها.

وضمانا لها ألا يتزوج زوجها بزوجة أخري بحثا عن مولود ذكر، حيث شاهدنا في الواقع كثير من الرجال يريدون الزواج بأخري من أجل هذا الهدف، حيث يحمل زوجته المسئولية وحدها عن نوعية الجنين.

كما أن الأب والأم يفرحون بالمولود الذكر لأنه سيكون هو اسم النداء للاب أو للأم.

أما الأب فإن فرحته بالمولود الذكر أضعاف مضاعفة، حيث أنه من وجهه نظره كتب لأسمه الخلود، فسوف يظل ينطق أسمه لسنوات مقترنا بأولاده وأحفاده.

أما البنت حتى وإن حققت النجاح واستطاعت أن تحفظ أسم الأب فهو لفترة محدودة وهي فترة عمرها هي فقط، لأن أولادها ينتسبون لرجل آخر وجد آخر. فبقاء ذكري الرجل في أسم أبنته مرهون بحياتها فقط.

وطبعا لا يفكر الأب عندما يرزق بالولد الذكر أن هذا الاسم الذي يريد له الاستمرار قد يحقق له المتاعب، ولكن هذا شيء عادي، لأن الناس دائما يحلمون بالخير، ولكنه حلم من جهة واحدة فقط.

فلماذا لا يحلمون أن البنت قد تحقق نجاحا باهرا ويستمر أسمها لسنوات طويلة، أو قد تكتشف اختراعا علميا أو عملا أدبيا أو تقدم دراسة تحفظ لها أسمها بين الأجيال.

ولكن دوما الناس يختارون من الأمور أسهلها، فبقاء أسم الأب مقرونا بأسم الولد مضمون- ولكن لابد لنا من تساؤل.

لماذا عندما يفكر الأب في تخليد أسمه في الدنيا الفانية لا يفكر فيمن ستكون أحد أسباب دخوله الجنة فالدنيا الباقية.

أو بمعني أصح الحياة الخالدة، لو قام بتربيتها تربية صالحة، وأحسن إليها وعاملها بالعدل والحسني.

والأغرب أن الجدة لأب تحديدا تعامل زوجة أبنها معاملة سيئة إذا أنجبت له البنات، وباللغة الدارجة (تعايرها) وفي نفس الوقت وفي نفس اللحظة لا تنظر بنفس النظرة إلى أبنتها إذا أنجبت لزوجها البنات، إن المرأة تعاقب المرأة وتظلمها، وتنسي دوما أنها كانت مثلها.

ونجد أن الدين لم يذكر لنا حديثا واحدا عن أن الولد يكون سبب لدخول أبيه الجنة إلا في الحديث الشريف والذي يقول إذا مات أبن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث ومنها أو ولد صالح يدعو له، ولم يحدد الدين معني الولد بأنه الذكر حيث أن كلمة ولد هي للذكر والأنثى. ولكن الأحاديث النبوية جاءت لتغيير أفكار بالية قاتمة، في عصور الجاهلية كانت.

والأغرب أن هذه العقليات مازال تفكيرها موروثا إلى الآن.، وذلك من العجب، فكيف لشخص كان يعبد الأصنام ويتخذ من الأحجار إلها ونحن ننكر عليه ذلك ثم نقوم بأخذ معتقداته في مجالات أخري، مثل الثأر وحرمان الأنثى من الميراث.

والغريب أن الذي يرسى هذه التفرقة في التعامل هي الأم بنفسها أي الأنثى.

فبالرغم من أن أي سيدة تزوجت كان كل انتقادها لحماتها والتي هي ام زوجها من طريقة سلوك الزوج وأمه معها – فهي تقوم بنفس الدور وكأنها مسيرة محددة وطريق مرسومة مسبقا، ولكن يختلف الأشخاص الذين يقومون بالسير عليها من حيث الأسماء فقط.

فغالبا ما تذكر الزوجة في شكواها أن زوجي مدلل وأنه حبيب أمه، وأنه لا يساعدني في البيت، وأنه عصبي وأنه أناني وأنه وأنه.

ثم تقوم هي بنفس الدور الذي قامت به الأم سلفا وطبق الأصل وتنفذ ما نفذته الحماة ربما بحذافيره وهي تربي أبنها، لتعطيه لزوجته مستقبلا لتعاني مثلما عانت هي.

ومما نراه دوما أن تلك التفرقة تبدأ منذ البداية فما أن تبدأ البنت في الحركة حتى تبدأ تتلقي الأوامر بأن المنزل كان نظيفا وأنها يجب ان تلم الأوراق التي تركها أخوها على الأرض.

وأنها يجب أن تحضر له كوب الماء، ويجب أن تحضر له الطعام. وأن تغسل له الملابس وأن تقوم هي بكي الملابس ولا أقصد بذلك كل النساء.

ولكن توجد أيضا قلة من الأمهات تطلب من البنين والبنات على قدر سواء الاهتمام بنظافة المنزل، وترتيب الأشياء الخاصة بهم، وتنظيف حجراتهم.

كما أنه للعدل لابد أن نذكر أنه كان ولا زال يوجد أيضا أعمال تقع على عاتق الولد بمفرده، حتى في حال وجود أخوات بنات، مثل شراء البقالة من المحلات القريبة، والخروج إلى الشارع عموما.

وفي الصعيد يفضل الرجل أن يخرج ومعه أبنه ولكن لا يحب أن يخرج ومعه أبنته، وإن كان ذلك المفهوم قد تغير كثيرا في الوقت الحالي – نهاية القرن العشرين.

ولكن يستمر التفريق بين الفتاة والفتي في أشياء نظنها بسيطة، ولكنها تترك أثرا في السلوكيات تستمر مدي الحياة.

فمثلا تعود الفتاة من المدرسة فتخلع ملابسها وتذهب للمطبخ لمساعدة أمها، ويعود الفتي من المدرسة ويجلس أمام التلفزيون أو النت، أو حاليا الموبايل.

ثم يكبر الأولاد فنجد طلبات الأبن مقدمة على طلبات البنت، وفي بعض الأسر تحدث التسوية في التعامل، ولكن الكثير من الأسر تفرق، حتى في طريقة توزيع الطعام والفاكهة.

لقد رأيت جارة لي كان لديها ابن وحيد وكان له خمسة من الأخوات البنات تكبرنه في السن، فكانت تعطيه نصيبا أكبر وأكثر من أخواته البنات في كل شيء.

وعندما قلت لها: اعطيهم بالعدل من أجل أن يكون هناك له بينهم حب.

فقالت: بالعكس أنا ازرع فيهن أن يفضلنه على أنفسهن وأعودهن أن يعطينه، فيصبح عندهم إعطائه عادة.

ولقد حثنا الرسول على العدل بين الأبناء حتى ولو في شق تمره.

كثيرة أشياء تحدث للتفرقة بين الجنسين، حتى في النصائح والمواعظ فدائما النصائح للبنت، ودائما الخوف على البنت، ولا يوجد من وجهه نظرهم للولد عيوب.

بل بالعكس دائما الولد يفعل ما يريد ولا نجد الأهل يهتمون، ومقولة أنا راجل أنا حر، تبدأ مع الشاب منذ الصغر وتستمر، وحتى عندما يتزوج وعندما يحدث خلاف بينه وبين زوجته فيكون التعليق دوما أنا راجل أنا حر.

ومن الأشياء الغير محمودة أن يتعود من الزوجة على تعامل في البداية يكون بدافع الحب، حيث تبدأ المرأة في التغاضي عن أشياء كثيرة تضايقها بدافع الحب.

وتقوم بعمل أشياء كثيرة فوق طاقتها بدافع الحب، وبمرور الوقت يتحول هذا الحب وتلك التضحية إلى حق مكتسب.

لتظل دوما الزوجة تقدمه، وحتى لو تعبت لا يجوز لها أن تتبرم من تقديم هذا الواجب المفروض عليها فرضا بعد أن قدمته برغبتها طائعة مختارة، أصبح يجب أن تقدمة مجبرة.

*****

التفرقة الثانية: الميراث

قد يوزع الأب أو الام ممتلكاتهما قبل الوفاة – تحت بند الهبة ولكن الشرع لا يبيح ذلك إذا كان الهدف التفرقة فيدل ذلك على أنه لا يجوز تفضيل بعض الأولاد على بعض في العطايا أو تخصيص بعضهم بها فكلهم ولده وكلهم يرجى بره.

فلا يجوز أن يخص بعضهم بالعطية دون البعض. فقد ورد في الحديث الشريف حَدَّثَنِي النُّعْمَانُ ابْنُ بَشِيرٍ : أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ مِنْ مَالِهِ لابْنِهَا، فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً، ثُمَّ بَدَا لَهُ فَقَالَتْ: لا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا وَهَبْتَ لابْنِي، فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلامٌ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لابْنِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَلا تُشْهِدْنِي إِذًا، فَإِنِّي لا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ.

وفي قول الرسول بأن التفرقة ظلم، ومع ذلك لكن اختلف العلماء رحمة الله عليهم هل يسوى بينهم ويكون الذكر كالأنثى أم يفضل الذكر على الأنثى كالميراث على قولين لأهل العلم.

والأرجح أن تكون العطية كالميراث وأن التسوية تكون بجعل الذكر كالأنثيين فإن هذا هو الذي جعله الله لهم في الميراث وهو سبحانه الحكم العدل، فيكون المؤمن في عطيته لأولاده كذلك كما لو خلفه لهم بعد موته للذكر مثل حظ الأنثيين.

وهكذا إذا أعطاهم في حال حياته يعطي الذكر مثل حظ الأنثيين، هذا هو العدل بالنسبة إليهم وبالنسبة إلى أمهم وأبيهم، وهذا هو الواجب على الأب والأم أن يعطوا الأولاد، وهكذا للذكر مثل حظ الأنثيين وبذلك يحصل العدل والتسوية كما جعل الله ذلك عدلا في إرثهم من أبيهم وأمه.

وحيث إنه لمن المعروف أن التشريع السماوي لابد أن يعلو عن أي عادات أو تقاليد.

ومن المعروف أيضا أنه عندما يتعارض أي أمر مع الشرع فإنه يجب أن يطبق الشرع.

ولا يختلف أثنان على أن الميراث وأنصبته تشريع سماوي حدده الله من فوق سبع سموات، وحدد فروضة وأنزلها في سورة كاملة، وجعل الأنصبة محددة بنص قرآني، فلا اجتهاد مع النص.

ولا يختلف أثنان على أن الله هو الحكم العدل، وأنه عندما يقر أمرا فهو بالتأكيد في صالح الإنسان، وأنه وإن كان ظاهريا لا يكون بالتساوي إلا أنه من حيث الواقع الفعلي فهو العدل نفسه.

وبالرغم من أنه حين النظر إلى نصيب المرأة في الميراث فأنه للوهلة الأولي تشك أنها مظلومة أو منقوصة الحق.

ولكن بالتدبر والفهم الواقعي لما يحدث، ولما ألقاه الله على عاتق الرجل تجاه المرأة تجد أن الإسلام لم يظلم أي منهما.

فالأصل أن الإسلام جعل المرأة مسئولة من الرجل، وجعل الرجل هو المسئول الأول عن الإنفاق عليها سواء كان أبا أم أخا أم زوجا أم عما أو خالا. حيث أن القوامة كما حددها الدين ارتبطت

بالتفضيل وكذلك بالإنفاق.

ولكن في مجتمعاتنا الحالية والواقع يقول أن الرجال تنصلوا من تلك المسئولية، خاصة بعد خروج المرأة للعمل واستطاعتها الاعتماد على نفسها.

وكثير من الرجال، أصبحوا لا يقومون بالإنفاق الحسن على من يعولون من النساء حتى ولو كانت هؤلاء النساء لا يعملن وليس لهن مورد رزق.

بل أنه في كثير جدا من المجتمعات الرجل جعل المرأة كمن تتسول منه نفقتها. وكذلك بعض الرجال ربما يقومون بالاستيلاء على ميراث المرأة بحجة أنه سوف يحافظ لها على هذا المال، ولكن في الحقيقة لكي يقوم بالاستفادة منه لصالح نفسه من مالها هذا.

وكنت أظن أن حرمان المرأة من الميراث أو إعطاءها نصيب أقل مما حدده الشرع ظاهره تنتشر عندنا في صعيد مصر فقط.

ولكنني اكتشفت أن هذا الحرمان يمتد إلى كل الدول العربية تقريبا، بالرغم من أن الدول العربية جميعها الديانة الأساسية بها هي الإسلام.

وبالرغم من أنه لا يوجد هذا المنع لا في قرآن ولا في سنه..

بل أن الأغرب والأصعب على النفس أن بعض رجال الدين والذين يعرفون الدين جيدا، لا يطبقون شرع الله ويطبقون شرع القبيلة وشرع العادات والتقاليد التي هي من صنع البشر.

والغريب أيضا أن الذين يمارسون الظلم في الميراث على أخواتهن من النساء، أو على قريباتهن هم من الموسرين ومن الذين يمتلكون المال.

ولا أقصد بذلك أن الظلم يمكن التذرع به في حالة الفقر، فلا الفقر ولا الاحتياج يبيح للإنسان أن يظلم لأن الظلم ظلمات في كل الأحوال.

وكثيرات من النساء تقبلن الظلم ضعفا بغير نفس صافية، ولا بقلب مسامح، وذلك يكون قصاصه يوم القيامة قوي على النفس والجسد.

والواقع يقول إن كثيرا جدا من الفتيات في صعيد مصر لا تستطيع الحصول على ميراثها لأسباب معينة وضعها المجتمع نفسه والعرف.

فالأغلب الأعم من الناس لا يحبون لشخص غريب أن يزرع أرضهم التي ورثوها عن أجدادهم، بل أنهم يربطون ذلك بأشياء من صنع خيالهم هم، ويعولون على ذلك بأنهم سوف يتعرضون للنقد من الآخرين، أو للتقليل من شأنهم وسط أهاليهم ومعارفهم والقبائل الأخرى.

وهذا الأمر لا يحدث في صعيد مصر فقط.

بل أنه يحدث كذلك في وجه بحري، وكما يحدث في القري فأنه يحدث في المدن، وهذا الموروث الفكري تعاقبت عليه أجيال كثيرة، وكان كل جيل يجد المبرر الذي يجعل من تصرفه هذا حقا له.

فمثلا في صعيد مصر عول الأخوة الذكور عدم إعطاء البنت ميراثها إلى أن هذه البنت عندما تتزوج، فهي تخرج من منزلها للحياة مع أناس غرباء عنها، ويتوقع أن تعود يوما غاضبة أو مطلقة إلى بيت أهلها، فلكي تجد لها ملاذا آمنا لابد أن يكون لها حق في هذا البيت.

ولابد أن أذكر هنا للحق وللعدل أيضا هناك أشياء حسنة تحدث أيضا في الصعيد، ناتجة عن العادات والتقاليد.

فبعض الفتيات لا تجد ميراثا لان الأب لم يترك تركة، أو أنه ترك تركة صغيرة، سرعان ما تبددت، ففي مثل تلك الحالات وفي الواقع الحقيقي فإن فعلا الأخ الأكبر يستضيف أخته أو أخواته البنات ويقوم بالإنفاق عليهن.

ويحدث ذلك سواء كانت الفتاة لم تتزوج بعد، أو إنها ذهبت لمنزل الأخ زائرة، أو غاضبة من زوجها، أو حتى مطلقة، أو أرملة.

فهو فعلا يقوم بالإنفاق عليها لأنها مسئولة منه ولأن تلك التقاليد والعادات التي لا يستطيع التنصل منها، وتلك المسئولية نشأت من قيم ومبادئ تربيت عليها أجيال بعد أجيال.

وإن كان بمرور الزمن وخروج المرأة للعمل قلت تلك المسئولية.

أو بمعني أصح أوجد الرجال لأنفسهم مبررا للتنصل من المسئولية، وتكمن المشكلة الحقيقية في أن كل شخص لا يعرف ما هو المطلوب منه، أو لا يريد أن يقوم بما هو مطلوب منه بالرغم من أنه يعرفه جيدا.

فإن الشرع الحنيف عندما حدد للرجل القوامة فقد ربطها بالإنفاق، وليس معني القوامة هو التحكم والجبروت وفرض الرأي سواء من أخ أو أب أو زوج.

وإن تم استثناء الأب حيث أنه له موجبات الطاعة في العموم، وكذلك الزوج، ولكن الدين حرم التشدد والتشبث بالرأي والقهر.

فكثير من الرجال ومن النساء كذلك لا يفرقون بين التحكم وفرض الرأي والقهر وبين الأمر بالمعروف والخوف على المصلحة والتعامل بالتي هي أحسن.

فمثلا كانت تحدث وقائع غريبة في مضمونها، وعلي سبيل المثال قد تفقد الفتاة الأب وتفقد الأسرة عائلها، فتضطر أن تخرج البنت للعمل من أجل الإنفاق على نفسها أو على أسرتها، فتعمل مثلا في محل لبيع الملابس أو مكتبه أو ما يشبه ذلك.

فتجد أن رجل من أقاربها يتدخل في شئونهم ويطلب منها عدم العمل لأن في ذلك إهانة له كرجل أو لهم كرجال، حيث وضعهم القبلي أو العائلي سوف يتأثر بذلك.

فيطلب منها عدم العمل، ولا يقدم المقابل. فإذا كان المقابل لذلك تقديم المال لمساعدة تلك الأسرة فأنه لا يقدم المال، لأنه لديه مسئولية أسرته هو. فذلك يدل دلالة واضحة على تغير القيم والمبادئ في أماكن كثيرة ومنها طبعا الصعيد.

وأود إن أوضح وجهة نظري الشخصية في القوامة فالقوامة ليس معناها السيادة والتحكم، فلا فضل لأحد على أحد، بل إن الإسلام أوصي بالنساء دوما، ولكني أري أن القوامة من وجهه نظري

تتمثل في النصح والإرشاد والمسئولية والإنفاق.

وتوجد لدينا أحاديث شريفة كثيرة تحث على مراعاة المرأة منذ أن كانت طفلة، والاهتمام بها وتعليمها، والدفاع عنها.

وجعل الإسلام من يربي أبنته تربية صالحة حسنة ليس له جزاء ذلك إلا الجنة.

وكما حرم الإسلام وأد البنات فقد حرم قهرهن وإيذاءهن، سواء كان إيذاء للمشاعر أو إيذاء بدنيا.

(ويروي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا. فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا! فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ.

رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي باب تكريم المرأة والأنثى في الدين الإسلامي ورد في الحديث الشريف عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا، وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَه). وقال عليه الصلاة والسلام: لا يَكُونُ لأَحَدِكُمْ ثَلاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلاثُ أَخَوَات، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ

(الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ)

وقال ﷺ: مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى، فَلَمْ يَئِدْهَا، وَلَمْ يُهِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا، قال: يَعْنِي الذُّكُورَ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ.

رواه أبو داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وفي حديث آخر قال ﷺ: مَنْ عَالَ ثَلاثَ بَنَاتٍ فَأَدَّبَهُنَّ وَزَوَّجَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، فَلَهُ الْجَنَّةُ.

(أبو داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ).

ويفهم من كل ما سبق أن الدين حث على حسن التعامل مع النساء ومعنى ذلك أيضا أنه من العادات المستقبحة أن تؤثر الذكر على الأنثى في العطاء.

وللأسف كم من بيوتات المسلمين لا يخصون البنات بشيء، ويعطون الذكور فقط، وهم يتوهمون أنهم إذا أعطوا البنات انتقلت الثروة إلى الغرباء، ولا يريدون أن يعترفوا بأن زوجها ليس بغريب.

بل أن زوجها أقرب الناس إليها، زوجها أقرب إليها منك، طالما هذا الزواج قائما. وله عليها حقوقا كثيرة، وبعد وفاتها له حق ميراثها كما أمر الله به.

ويروي أن النبي عليه الصلاة والسلام سئل: "من أعظم الرجال حقاً على المرأة؟ قال: زوجها، فلما سئل: من أعظم النساء حقاً على الرجل؟ قال: أمه "

فإن أعظم رجل في حياة المرأة زوجها، وأعظم امرأة في حياة الرجل أمه.

وأنا أستغرب من أمر هؤلاء الرجال! كيف تستأمنه على دمك ولا تعطيه ميراث زوجته من والدها أو والدتها وهي معه أو ميراثه منها لو توفيت.

ومن نعم الله علينا أن العمل الذي يسعدنا القيام به، نأخذ عليه ثواب العبادة، وأن كل عمل الإنسان في بيته عبادة إذا كان مؤمنا.

فأول درجات الإيمان أن يحسن الإنسان المعاملة لمن هم أولاده.، لأن الأولاد سوف يسأله الله عنهم، لأن الآخرين أنت لهم وغيرك لهم، أما أولادك وبناتك فليس لهم غيرك؟

فمن للأبناء غير الأب يرعاهن، ويؤدبهن، ويعلمهن، ومن لهم غيرك يسعى لصلاح دنياهن.

إن الله سبحانه وتعالي فطر النفس البشرية على حب الأولاد والبنات أو حب من تنجب وحب ما ينتمي إليها أو يخرج منها، ولكن المهم كيف يهدي هذا الحب إلى السلوك الصحيح والتصرف السليم.

وقد ورد في الحديث الشريف قال ﷺ: أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَفْضَلِ الصَّدَقَةِ؟ ابْنَتُكَ مَرْدُودَةً إِلَيْكَ، لَيْسَ لَهَا كَاسِبٌ غَيْرُك.

رواه ابن ماجة عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ.

وفي واقع الحياة فإننا نجد أن الإنسان حينما يتوجه إلى عمله، أيا كان هذا العمل سواء أكان عملا حرفيا أو محلا تجاريا، أو عيادة، أو مكتب محاماة، أو مكتب هندسي، أو معلم، أو موظف، أنت حينما تتوجه إلى عملك.

وكان عملك هذا حلالا في الأصل أي مشروعاً في الإسلام، وسلكت فيه الطرق المشروعة فلم تكذب، ولم تحتل، ولم تغش، وابتغيت منه كفاية نفسك وأهلك وأولادك وبناتك، وابتغيت به خدمة المسلمين عامة.

فإن هذا العمل الذي تمضي فيه ثماني ساعات كل يوم انقلب إلى عبادة. فمن نعمه الله على البشر جعل فيما يرضيه وفيما يحبون عبادة.

وحتى لو أخذ الشخص أهله نزهة يبتغي بها إدخال السرور على قلبهم، حتى لو ألبس أولاده ثياباً جديدة، حتى لو أطعمهن طعاماً يحبونه، كل عمل الإنسان في بيته عبادة إذا كان مؤمناً. وكل عمل يدخل السرور على الآخرين عبادة فما بالك لو كان الآخرين هم أهل بيتك هم أبنتك وأختك وزوجتك.

ولذلك النَّبِيَّ ﷺ قال: أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَفْضَلِ الصَّدَقَةِ؟ ابْنَتُكَ مَرْدُودَةً إِلَيْكَ، لَيْسَ لَهَا كَاسِبٌ غَيْرُكَ.

فالنبي الكريم لا ينطق عن الهوى، مقام النبي لا يليق به أن يجامل، فرَسُول اللَّهِ ﷺ قال: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَ بِهَا الْجَنَّة

وقال كذلك: مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: (مَا مِنْ رَجُلٍ تُدْرِكُ لَهُ ابْنَتَانِ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا، مَا صَحِبَتَاهُ أَوْ صَحِبَهُمَا إِلا أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ)

ابن ماجة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

وقد جاء في ذكر الأخوات كذلك:

فقد قال الرسول ﷺ: مَنْ كَانَتْ لَهُ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُمَا مَا صَحِبَتَاهُ دَخَلَ بِهِمَا الْجَنَّةَ.

رواه أحمد عن ابن عباس

قال رسول الله ﷺ من كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَى لأْوَائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ وَسَرَّائِهِنَّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ.

فَقَالَ رَجُلٌ: أَوْ ثِنْتَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: أَوْ اثنتان.

فَقَالَ: رَجُلٌ أَوْ وَاحِدَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: أَوْ وَاحِدَةٌ

(رواه أحمد عن أبي هريرة).

فلماذا يقوم الشخص المسلم حاليا بظلم النساء وانتقاص ميراثهن، والبعض قد يحرمهن من الميراث، والبعض يجاهر بذلك وكأنه وسام فخر. بالقول (أحنا عندنا البنات ما تورث)

ومن الأمثلة التي رأيتها بعيني في موضوع الظلم في المواريث

أذكر أنه كانت لي صديقة بالصعيد وكانت هذه الصديقة تريد الارتباط بشخص معين وكانت تميل إليه، وعندما تقدم إليها رفضه أخوها الأكبر دون سبب، وأقنع والده بزواج أخته من شخص آخر لا تريده. وتم الزواج طبقا لرغبه الأخ.

ولقد عانت البنت في مراحل زواجها الأولي، ثم ارتضت بالأمر الواقع وتقبلت أبو أولادها، وذلك لكونه طيب المعاملة لها، فالعشرة تغير كثير من المشاعر.

ولكن الغريب في ذلك الأمر أنه بعد فترة توفي والدها، والأغرب أن هذا الأخ الظالم قد حرمها من ميراثها، وحرمها من أن تأخذ أي جزء في منزل والدها.

رغم أنه توجد لكل شخص من أخوتها شقة مستقلة، ولكن حرموا البنات من البقاء في منزل العائلة، وأعطوا كل واحدة جزء بسيط جدا من المال، لا يتساوى إطلاقا مع الميراث الذي كان يجب أن تأخذه.

فلماذا ظلمها مرتين، مرة بفرض زوج لا تريده، ومرة أخري بحرمانها من ميراث والدها.

وأذكر صديقة لي من دولة المغرب العربي الشقيق قد روت لي أيضا أنها كانت تعيش مع والدها في شقته قبل وفاته وقبل زواجها

وتوفي الأب وعادت مطلقة، فوجدت أخاها قد وضع يده على شقة والده والتي كانت في الدور السابق لشقته وأستولي على المنزل كاملا والأغرب أنها حكت لي أنه رفض حتى استضافتها في منزله بحجة أن زوجته لا تريد أيا من أخواته البنات معها وبالرغم من أنه قد أخذ شقة الأب الوالد والتي هي أساسا ميراث للجميع.

والمضحك المبكي أنها ذهبت مرة أخري لزيارة هذا الأخ، فقال لها: أرجوك أمشي قبل أن تأتي زوجتي من الخارج، فقالت لي وباللفظ، فقلت له: أنا أختك ولست عشيقتك لكي تخشي أن تجدني زوجتك في بيتك وبيتها والذي هو بيت أبينا أساسا.

كثيرة جدا ومريرة جدا قصص حرمان النساء من الميراث. وللأسف يمتلئ بها صعيد مصر وشمال مصر وكل الوطن العربي،

مريرة جدا الحكايا عن الظلم وهضم الحقوق.

وأعرف إنسانة عندما توفي والدها وترك لها أخوة وأخوات من أم أخري، وعملت أم الأخوة الآخرين على إخراج تلك الأخت من جميع الأماكن، وأعطوها ميراثا ولكنه يقل كثيرا عن ميراث أخواتها البنات، ورضيت بما أخذت ليس رضاء القانع ولكن رضاء الضعيف، ورضاء المقهور وما استطاعت التسامح وظلت دوما تذكر أنها لم تأخذ ميراثها من والدها.

وأذكر قصة أخري من أم مطلقة ولديها بنات صغيرات وتزوجت بزوج آخر وأنجبت منه أبن وكبر الأولاد جميعا، وعندما توفي أبو بناتها، وحصلت على ميراث بناتها بمساعدة زوجها قام زوجها هذا بتقسيم نصيب البنات بعد حصوله عليه بمشقة من أعمام البنات. وجعل لأبنه نصيب في هذا الميراث وكأنه أخوهم من أبيهم، بالرغم أنه شرعا وقانونا لا يرث كا لأخ الشقيق، ولكن من الذي يقنعه بذلك، ومن الذي يستطيع أن يأخذ حق البنات من ميراثهن في والدهن ويقسمه بينهن بالتساوي.

وأثناء الفترة التي كنت أكتب فيها هذا الكتاب اتصلت بي صديقتي وهي من بلد عربي شقيق وكانت تريد أن تأخذ رأيي في أمر يتعلق بها وبأخوتها. وكان الأمر أن أخوتها يريدون بيع منزل والدهم لانهم سيأخذ كل منهم نصيبه ويستقل وكان البيت على مساحة واسعة جدا تعادل ٢٥٠٠ متر الفان وخمسمائة مترا.

وقالت لهم لا اريد أن ابيع نصيبي، أريد أحتفظ بحقي كجزء من الأرض في أي مكان تريدون، فتبيعوا ما شئتم واتركوا لي نصيبي،

فقلت لها في البداية لا يحق للفرد أن يعطل المجموع، بيعي نصيبك معهم طالما يستحيل التقسيم، فقالت لا ممكن أخذ نصيبي جزء في أي ركن يشاؤون.

وقالت قلت لهم أعطوني في أي مكان ولكن لا اريد بيع ميراثي من والدي أريد أن أظل في المنزل الذي اشتراه لنا وقالت: أنها تريد أن تأخذ عندها والدتها في ذلك الجزء الذي ملكها لان والدتها يعز عليها بيع البيت، حيث أنه موطن ذكرياتها.

فقلت لها طالما يمكن تقسيمه تمسكي بحقك، ولا تبيعي مثلهم، هذا شرع لك من فوق سبع سموات لا يحق لك بيعه ولا التنازل عنه دون رغبتك.

وفي نفس الوقت كنت مترددة هل حفاظها على علاقتها طيبة مع أخوتها افضل، أم حفاظها على حقها في الميراث؟ لماذا دوما يضعوننا في خيارات صعبة؟

ولا أعرف لماذا يجدون في حرمان البنت من الميراث فخر، ولا يشعرون أنهم ظالمون، وللحق وللعدل وفي المقابل هناك قصص لتفضيل الإناث.

وكثير جدا من الآباء لا ينجب ذكورا وخوفا من يشارك أخوته الذكور بناته في الميراث فأنه يكتب لهن ما يمتلك بيعا وشراء وذلك أيضا حرام.

وأكيد لو تجولنا في الوطن العربي لوجدنا أنه مملوء بمثل تلك القصص التي من كثرة ظلمها لا تظن أنها واقعية.

*****

التفرقة الثالثة: اختيار الزوج

كثير جدا جدا من الرجال لا يعطون لأبنتهم هذا الحق ولا لأختهم، اعتقادا منهم أن البنت لا تحسن الاختيار، أو اعتقادا من بعضهم أن الرجال كلهم سواء فالخلاف على الرجل يكون من وجهه نظر الأخ أو الأب أو العم له حسابات أخري لا تراها البنت...

وهؤلاء هم الذين يرون أنفسهم هم الأدري بالرجال، وهم الأدري بمصلحة البنت أو الأخت وأن موافقتها على الزواج ما هي إلا تحصيل حاصل، لأن كما قلت الرجل من وجهه نظرهم لا يعيبه سوي نقص المال.

وحاليا تطورت المفاهيم وأصبح ما يعيبه هو نقص بعض المعايير التي يراها الأهل سببا للاختيار، مثل العائلة والنسب أو الوظيفة.

وينسون دوما أو يتجاهلون أنه (لا إكراه في زواج ولا إكراه في طلاق، ولا تحليل لما حرم الله ولا تحريم لما أحل الله).

ولا تزال المرأة بين سندان العادات والتقاليد وبين الشرع والقانون

ونجد أن بعض الأهل لا يهتمون بمشاعر أولادهم عندما يريد الأبناء الإقدام على الزواج، ويتساوى في ذلك أن يكون الأبنة هي التي ستتزوج أم الأبن، وغالبا وبنسبة ٩٠٪ لا يقصد الأهل الإضرار بالأولاد أو أنهم لا يرغبون لهم السعادة، ولكن الذي يحدث حتى وإن كان الأب أو الأم سبق لهما الزواج عن حب، فأنهم مع ذلك لا يهتمون بمشاعر أولادهم، وسبب ذلك أن الإنسان بطبعه ينسي

ولأنه بمرور الوقت تتغير مشاعر البشر وأن الأب والأم الذين تزوجوا عن حب وعاشوا سعادة الحب، نسوا تلك السعادة، ونسوا كل الذكريات الحلوة.

لأن المشاكل التي طرأت على حياتهم بعد سنوات الزواج الأولي غيرت المشاعر، بل في الأغلب تتحول إلى عداوات، وكثيرا أيضا ما يتغير شعور أحد الزوجين ويحب شخصا آخر أو قد يتعرف الأب على شخصية أخري غير زوجته وحتي وإن لم يستطع أن يتزوجها، فهو يشعر أن زواجه الأول والذي كان عن حب تلاشي ولا وجود له؛ ولذلك فعندما يريد أبنه الزواج من فتاة يحبها أو تريد أبنته الزواج من شخص تحبه، تجده يعطيهم خلاصة حبه هو ورأيه في الزواج عابرا عبورا سريعا من مرحلة الخطوبة والاختيار إلى المرحلة التي وصل إليها هذا الزواج والذي تم عن حب، متجاوزا مرحلة سعادة الحب التي عاشها مع زوجته وكل اللحظات الجميلة التي مرت بهما في زواجهما وكل التضحيات وتحمل صعوبات الحياة والتي استطاعا بالحب التغلب عليها.

ناسيا وهو يعظ أو وهو يرفض طلب أبنه أو أبنته أن لحظة واحده يعيشها الإنسان في حب صادق، تكون كعمر كامل يعيشه الشخص بلا حب

أو أن يعيش من أن أجل أن تمر الحياة وفقط، دون اهتمام بمدي السعادة، دائما ينسي المحبون كم أسعدتهم الكلمات والنظرات والهدايا البسيطة كوردة مثلا، ويتذكرون دائما ما أل إليه حبهم الذي أنتهي أو مات أو قتل.

فأنا أري من وجهه نظري أن الحب مخلوق كأي مخلوق، يكون نطفة ثم يولد جنينا وإن لم يتم الاعتناء به يموت قبل أن يكبر وإن تم الاعتناء به يكبر ويشب، ويستمر ويشيخ ويموت بموت المحبين ولكنه كذلك قد يمرض، وقد يقتل بالخيانة وقد يعدم بالقسوة، وقد يزهو ويتألق بالسعادة والاعتناء.

وحتى وإن مات الحب موتا طبيعيا بموت المحبين فإن ذكراه تبقي حديث المحبين الآخرين ويتم تناولها عبر العصور كقصص وروايات وأشعار مثل قيس وليلي وعبل وعنترة وروميو وجولييت – حتى هناك قصص لم يتناولها كثيرا الأدب العربي ومنها قصة عاتكة بنت زيد والتي كانت عذبة الحديث ذكية الملمح وكانت زوجة لمحمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، ويروي أن سيدنا أبو بكر الصديق مر على أبنه محمد ليصلي معه فقال له سألحق بك، ومر الوقت وعاد سيدنا أبو بكر ووجد أبنه مازال في مجلسه يتحدث مع زوجته، فقال له لماذا لم تأت للصلاة؟

فرد عليه أو صلي الناس؟ فهو كان يحبها لدرجة لا يشعر بالوقت وهو معها.

وربما تلك القصص لا تذكر كثيرا، حتى لا يتم النقد بأن محمد بن سيدنا أبو بكر لم يتنبه لوقت الصلاة بسبب انشغاله في الحديث مع زوجته، والآباء دوما عندما يفشلون في الإبقاء على الحب وعندما تتغير سعادتهم فأنهم لا يواجهون الحقائق كما هي.

فهم لا يتحدثون عن سبب هذا الفشل والذي غالبا هم السبب فيه، ولكنهم يتحدثون عن أن الحب هو نفسه فشل، بل ويلقون اللوم على الحب نفسه وليس على أشخاصهم، ولكن في الخلاصة عندما يرفض الأهل زواج الحب لأولادهم فهم يعطون أولادهم خلاصة تجربتهم في الحياة ويريدونهم أن يأخذوا تلك الخلاصة دون المرور بالتجربة ذاتها

ومع ذلك فكل ذلك مغفور لهم لأنه نابعا من شعور الحب الخالص والصادق تجاه الأبناء

ونذكر هنا أن الرسول ﷺ ضرب لنا أروع الأمثلة في الاهتمام بالمشاعر الجميلة والعناية بها، وكان يعلم حب سيدنا على ﷺ للسيدة فاطمة الزهراء، حتى أنه عندما ذهب سيدنا على للحديث مع الرسول ﷺ لخطبتها، ففقد جلس معه سيدنا على ولم يذكر شيئا فقال له الرسول ﷺ:

تريد أن تخطب فاطمة؟ فأجابه نعم.

فلقد كان سيدنا محمد يحب السيدة خديجة، حبا لم تعرف قبله البشرية، وظل ذلك الحب حتى بعد أن أحب السيدة عائشة بعد زواجه منها.

وكذلك أحب السيدة عائشة حبا كبيرا وكان يخبر أصحابه عن حبه لها ويعلم كل الناس أنه يحب زوجته، ولا يخفي ذلك ولا يعتبره أمرا يخجل منه.

كان يعلمنا أجمل السلوك في الحب مع من نحب، ونحن الآن نقلد الأجانب ونأخذ منهم القدوة في السلوكيات بالرغم أنهم هم

الآن الذين يقلدون الرسول في سلوكياته، فقد كان صلي الله عليه وسلم يبحث عن موضع شفاه السيدة عائشة في الكوب ليشرب من المكان الذي شربت منه، وعندما يفعل ذلك الأجانب نتحدث نحن عن حبهم وغرامهم، ورقتهم مع زوجاتهم. وكان يطعم زوجته بيده، ونحن عندما نشاهد فيلما أجنبيا أو عربيا يتم فيه ذلك نتحدث عن الحب والغرام الذي يعيشه الأجانب، ونترك تراثنا وديننا خلف ظهورنا، وربما سبب ذلك الأشخاص أو معني أصح الرجال، فكم من رجل لا يريد أن يفقد سطوته وسيطرته على أسرته، فيظهر خلاف ما يبطن فهو حتى وإن كان يحب زوجته فإنه لا يظهر ذلك الحب، بل يظهر القسوة والشدة ظنا منه أنه بذلك يحافظ على هيبته.

إن ديننا هو الرقة بعينها والرحمة بعينها، ولكن سامح الله من أساء لهذا الدين، وربط بين الإسلام والشدة والقسوة، وسوء العشرة.

قال الشرع العبرة بالدين، وقال الأهل العبرة بالحسب والنسب، أو العبرة بالمصلحة أو الغني، فكلما كان غنيا، كلما كفاهم من أن تحتاج أبنتهم لميراثها، أو تحتاج منهم إلى مال أو مساعدة فهم يحسبون حساب المستقبل لهم هم وليس لها هي.

وقد قال الدين في أمر القلوب قول الرسول الكريم ﷺ في الحديث الشريف إلحقوا النساء بأهوائهن. وقال ﷺ (إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه وإلا تكن في الأرض فتنة واسعة وفساد كبير)، وفعلا زاد الفساد في الأرض لأن الناس لم تعمل بالدين.

وللحق أقول أيضا أن نظره الأهل غالبا صائبة حيث يرون ما لا تراه أبنتهم الصغيرة، فهم قد خبروا الحياة وجربوا، ولكن إياكم

والظلم، فلا يحرم شخص أبنته أو أخته من الزواج لأنه يري في إختيارها خطأ وفقط، لابد أن يكون هناك حوار، ولابد من إقناع الأخت أو البنت بوجهه النظر، لا يتم التحكم وفرض الرأي من أجل التحكم.

وأود أيضا أن أضيف أن زواج العقل أيضا ينجح ربما بقدر أكبر من زواج الحب، ولكن ما اردت قوله هو حرية الاختيار.

وأذكر لكم أمثله واقعية حدثت في الزواج القائم على الخضوع والضعف وعدم القدرة على إبداء الرأي.

أذكر أنه كان هناك فتاة في قمة جمالها وشبابها، وكان والدها عليه ديون لشخص صديق له في مثل عمره تقريبا وعجز عن السداد، فأقترح على الصديق أن يزوجه تلك الفتاة الصغيرة الجميلة، وأن يعتبر الدين مهرا لها، ولم تستطع المسكينة أمام جبروت الأب أن تفتح فمها بالرفض، ولكنها قبلت الزواج وعاشت إلى أن مات زوجها وتركها مع أبنين، ولم تر للسعادة طعما، وعاشت وماتت وهي تسدد ديون ليست مسؤولة عنها.

وكثيرات مثلها دفعن حياتهن من أجل رضاء الاب أو الأخ، أو حتى ليس لإرضائه ولكن لعدم قدرتهن على المجابهة.

ولنبدأ الحديث عن البناء ولا أقصد بالبناء ليلة الزفاف كما هي معروفة شرعا، ولكني أقصد بناء الشخصيات فبناء شخصية البنت يبدأ عندما تبدأ في التحول إلى شابة، فإن الأهل يضعون في ذهنها الأسس التي تقوم عليه الحياة الزوجية والتي أغلبها طبعا خطأ.

ومن أوائل تلك الأساسيات التي يضعها الأهل في رأس البنت ألا وهي فكرة أنها ستكون لزوجها خادمة، بالرغم من أن الشرع لم يجعل الزواج من أجل أن يحصل الزوج على خادمة، حيث أن الزواج شرع من أجل العفة ومن أجل إنجاب الأطفال فقد قال رسول الله ﷺ: تزاوجوا تناكحوا فأني مفاخر بكم الأمم.

فهو شرع من أجل حفظ النسل ومن أجل إشباع احتياج كل شخص لاحتياجات الآخر، ومن أجل تكوين أسرة حيث أن الأسرة هي نواة المجتمع.

فإن كان بناء الأسرة قويا سليما كان المجتمع قويا سليما.

أما كون المرأة في المجتمع العربي تقوم على خدمة زوجها وأولادها فذلك تفضل منها وليس فرضا عليها، ونظرا لأن الرجل الشرقي وكذلك الفتاة الشرقية تربت على أنها يجب أن تتعلم فنون الطهي وخدمة الأسرة لكي تحصل على زوج، وأن تلك الأشياء من المميزات المصاحبة للزوجة، ونقصها من العيوب المنقصة في الزوجة.

وأنه يجب أن تقدم كل مقدراتها للقيام بالواجبات المنزلية والطهي وتربية الأولاد.

وأنا أجد أن ذلك ربما كان مقبولا عندما كان الزوج يذهب في الغابة لصيد الحيوانات، أو للعمل في الحقل أو حتى للوظيفة وتظل هي بلا عمل.

ولكن والآن وقد أصبحت تخرج كل يوم للعمل ولا يوجد لديها وقت، بل ربما الزوج لديه وقت أكبر منها للعناية بالأولاد أو استذكار دروسهم، فأن الأمر قد أختلف.

فالمفروض بدلا من أن يترك البيت للجلوس على المقهى تاركا الزوجة التي عادت من العمل وقامت بطهي الطعام للغداء ثم غسل الأطباق، ثم عليها استذكار الدروس، وكأنها حيوان يدور في ساقية، فكان يجب عليه أن يقوم بمساعدتها في شئون البيت، أو الاستذكار للأولاد. ولكن الغريب أنه ربما يعود ذلك الزوج بعد أن نام بعد الغداء واستأنس مع الأصدقاء في المقهى، يريد من تلك الزوجة أن تنتظره في كامل زينتها مبتسمة راضية سعيدة، تجهز له العشاء وتجلس لتستمع لأحاديثه والتسامر معه.

وللحق فأني أري وللأسف إن الظروف الاقتصادية أثرت تأثيرا سلبيا على المرأة العربية في بعض الدول وكذلك على وجه الخصوص المرأة المصرية.

حيث أن الظروف الاقتصادية جعلت الشباب يبتعدون عن فكرة الزواج، حيث ان الشاب عندما يتخرج من الجامعة أو حتى الشاب الذي لا يدرس ويعمل في أي مجال يجد أن عليه أن يجهز شقة لتكون منزلا للزوجية، وأصبح العرض أقل بكثير من الطلب، وكذلك تزايد عدد الإناث مضاعفا لأعداد الذكور جعل البنت بدلا من أن تشترط في الزوج ماذا تريد وماذا تطلب، أصبح الحديث الآن هو ماذا ستقدم البنت لهذا الزوج.

وأصبح من ضمن عروض الفتاة أنه يجب عليها أن تقدم عرضا كاملا شاملا الخدمة للزوج والأولاد وللمنزل على أكمل وجه.

ولكن ذلك العرض يختفي في الدول التي بها رواج اقتصادي أو يرتفع فيها مستوي المعيشة فغالبا ما يكون لدي الزوجة خادمة تقوم على خدمة المنزل والطهي ورعاية الأولاد.

وفي مصر في العهود السابقة كانت العروس تذهب لبيت عريسها ومعها خادمتها التي كانت معها وهي فتاة في منزل والدها، حيث كانت تلك الخادمة محل ثقة وسر الفتاة في المنزل الغريب الذي انتقلت إليه.

فتلازم العروس وتكون مساعدة لها في شئون الحياة والمساعدة في أعمال المنزل وكاتمة السر عند حدوث بعض المشكلات والمناوشات مع ام العريس او أخواته البنات أو الأصهار ولكن حاليا اختفت تلك الخادمات.

والآن أصبحت الزوجة خادمة لكل البيت، حتى أولادها لا يساعدونها، والأغرب أنها هي التي ربتهم على ذلك.

ويجب أن نذكر هنا أن الشرع لم يشترط خدمة المرأة في المنزل، بل أن لها أجرا من الله على ذلك، بل أن إرضاعها لأولادها لها به أجر، فإن لم يكن ماليا عن طريق الزوج فهو من عند الله حيث يؤجرها على ذلك.

فكما أن على الزوج أن ينفق على أبنه فهو كذلك يجب عليه أن يأتي له بمن ترضعه، ولكن الأم لم تطلب يوما أجرا على إرضاعها لأولادها فهي تحصل على سعادة مقابل قيامها بذلك. لأن دافع

الأمومة والمتعة التي تتحصل عليها من وجود أبنها الرضيع فوق صدرها تعطيه الغذاء والحنان معا يكفيها ويجعلها لا تفكر إطلاقا في الحصول على مقابل للإرضاع.

ولكن الكثيرين جدا والكثيرات لا يعرفون تلك الحقوق وللأسف يتعاملون مع زوجاتهم بأسلوب بعيد جدا عن الشرع والدين

بل أنه ومن منطلق أنه تزوجها من أجل خدمته فقط وإنجاب الأولاد، ولذلك لا تجد بعض الأزواج يتحدث مع زوجته أو يتودد إليها أو يعاملها بلطف، أو يساعدها في المنزل

وذلك بسبب البعد عن الدين أو عدم فهم الدين فهما صحيحا فقد قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله

وقال أيضا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم.

وقال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي

وقال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر

وقال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩]

وقال في تعظيم حقهن: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ [النساء: ٢١].

وقال: والصَّاحِبِ بالجَنْبِ قيل: هي المرأة.

وآخر ما وصى به رسول الله ثلاث كان يتكلم بهم حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه: جعل يقول: «الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ لاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا لاَ يُطِيقُونَ.

الله الله فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عَوَان فِي أَيْدِيكُمْ . يعني أسراء . أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ الله وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله.

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ الله مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ أَيُّوبُ عَلَى بَلاَئِهِ، وَمَنْ صَبَرَتْ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا الله مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَونَ.

وراجعت امرأة عمر ﷺ في الكلام فقال: أتراجعيني يا لكعاء، فقالت: إنّ أزواج رسول الله يراجعنه وهو خيرا منك.

فقال عمر: خابت حفصة وخسرت إن راجعته، ثم قال لحفصة: لا تغتري بانك ابنة أبي قحافة فإنها حِبُّ رسول الله وخوّفها من المراجعة.

وروي أنه جرى بين الرسول وبين عائشة ﵂ كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر ﷺ حكماً واستشهداه، (أي طلبا شهادته) فقال لها رسول الله: أ تتَكَلَّمِينَ أَوْ أَتَكَلَّمُ»؟

فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقاً

فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال: يا عدية نفسها، أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله وقعدت خلف ظهره، فقال له النبي: «لَمْ نَدْعُكَ لِهذَا وَلاَ أَرَدْنَا مِنْكَ هذَا.

وقالت له مرة في كلام غضبت عنده: أنت الذي تزعم أنك نبي الله، فتبسم رسول الله واحتمل ذلك حلماً وكرماً. وكان يقول لها: إِنِّي أَعْرِفُ غَضَبَكِ مِنْ رِضَاكِ. قالت: وكيف تعرفه؟

قال: «إِذَا رَضِيتِ قُلْتِ: لاَ وَإِلهِ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا غَضِبْتِ قُلْتِ: لاَ وَإِلهِ إِبْرَاهِيمَ»

قالت: «صدقت إنما أهجر اسمك.

ويقال: إنّ أول حب وقع في الإسلام حب النبي لعائشة رضي الله عنها. وكان يقول لها: كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ، غَيْرَ أَنِّي لاَ أُطَلِّقُكِ»، وكان يقول لنسائه: «لاَ تُؤْذُونِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا نَزَلَ على الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرَهَا.

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله أرحم الناس بالنساء والصبيان.

وكذلك أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة، فهي التي تطيب قلوب النساء، وقد كان رسول الله يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق، حتى روي أنه كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوماً، وسبقها في بعض الأيام، فقال عليه السلام: «هذِهِ بِتِلْكَ.

وفي الخبر: أنه كان من أفكه الناس مع نسائه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء، فقال لي رسول الله: «أَتُحِبِّينَ أَنْ تَرَيْ لُعَبَهُمْ؟» قالت: قلت نعم، فأرسل إليهم فجاؤوا، وقام رسول الله بين البابين، فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر، وجعل رسول الله يقول: لي حَسْبُكِ» بمعني

كفي.

وأقول اسكت مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: يَا عَائِشَة حَسْبُكِ» فقلت: نعم، فأشار إليهم فانصرفوا. وقد قال رسول الله ﷺ: أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ وقال عليه السلام: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي.

وكان يقول في السيدة خديجة ﷺ: الحمد لله الذي رزقني حب خديجة. فقد كان يري أن الحب هو رزق من أرزاق البشر.

وقال عمر رضي الله عنه رغم خشونته: ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلاً.

وقال لقمان رحمه الله: ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي، وإذا كان في القوم وجد رجلاً. وفي تفسير الخبر المروي: إن الله يبغض الجعظري الجوّاظ» قيل: هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه.

وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى: ﴿ عُتُلٍّ ﴾ [القلم: ١٣] قيل: العتل: هو الفظّ اللسان الغليظ القلب على أهله.

وقال عليه السلام لجابر عندما أراد الزواج: هلا بِكْراً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ.

ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت: والله لقد كان ضحوكاً إذا ولج، سكيتاً إذا خرج، آكلاً ما وجد، غير مسائل عما فقد.

وقال عليه الصلاة السلام: «مَثَلُ المَرْأَةِ الصَّالِحَةِ فِي النِّسَاءِ كَمَثَلِ الغُرَابِ الأَعْصَمِ بَيْنَ مائَةِ غُرَابٍ، والأعصم: يعني الأبيض البطن.

وروي عن حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ قَالَ: أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى وَلَا يَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا يُقَبِّحْ وَلَا يَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ.

أسباب الزواج: في الدين الإسلامي

وأريد هنا أن أقول وأذكر وأشدد على كل رجل أن الزواج قد شرعه الله من فوق سبع سموات لسببين.

السبب الأول: هو تحقيق العفة لكل طرف في الزواج بالحصول على متعة مشرعة من فوق سبع سموات، وإشباع رغبة موجودة داخل كل كائن حي في إطار ديني وأخلاقي يضمن الصحة والسلامة،

والسبب الثاني: فهو تكوين أسرة، والمحافظة على النوع والجنس بالاستمرارية والبقاء.

وكثيرا جدا من مفاهيم البشر الخاطئة حاليا لا تنظر إلى تحقيق العفة كسبب أول للزواج، بل بالعكس تنظر إلى الزواج على أنه هو الوسيلة لحفظ النوع عن طريق الإنجاب والتكاثر وحفظ الأسرة والمحافظة على أسم العائلة.

ويرون أن كل ذلك يأتي في مرتبة سابقة على مرتبة العفاف وتحقيق المتعة. وأننا لو نظرنا إلى المجتمعات الغربية، أو إلى المجتمعات التي تدين بدين غير الإسلام لوجدنا أن الهدف الأول هو ذاته نفس الهدف الموجود بالشريعة الإسلامية وهو تحقيق العفة لكل طرف.

وأردت هنا الحديث عن هذا الموضوع، وهو تحقيق العفاف)

لأن كثيرا من البيوت تهدم بسبب عدم فهم الزواج فهما صحيحا، أو بسبب الفهم ولكن مع صعوبة التطبيق، أو الفهم وعدم الاهتمام بالتطبيق وتجاهل كل طرف لرغبات الآخر.

بل أن كثيرا جدا حاصلين على مؤهلات علمية عالية ولا يحسنون التعامل الخاص في علاقاتهم الحميمية مع زوجاتهم، ولا يحسنون العشرة معهن، وكذلك كثيرات لا تفهم الهدف من الزواج ولا تهتم لرغبات الزوج، ولكن في المطلق نجد أن المجتمع بنسبة ٩٩٪ منه يفهمون أن الزواج هو إسعاد الزوج، وأن دور المرأة الرئيسي في الحياة هو تحقيق رغبات الزوج وإسعاده.

ونجد أن هذا الفهم ربما متوارث من جيل إلى جيل، ونجد بالنظر في الحياة أن المرأة هي التي يجب أن تتزين ويجب أن تضع العطور والمساحيق لكي تكون جميلة في عين زوجها، ونجد على الجانب الآخر أن الرجل – ليس كل الرجال طبعا – ولكن الأغلبية الساحقة يعتقد أنه يكفي أن يكون مع زوجته وهو في أيه حال، ولا يهتم إطلاقا بأن يتزين لها، ولا أن يضع عطرا ولا أن يلبس حسنا.

وإن كنا نظرنا إلى العرب قديما لوجدنا أنهم كانوا يفهمون الحياة أكثر مما يفهمها الجيل الحالي وأن الرجل كان يتزين لزوجته كما تتزين المرأة لزوجها.

وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: تصنعوا لنسائكم، وإنهن حببن منكم ما تحبونه منهن.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي.

وكان بعض الصالحين يلبس الثياب النفيسة ويقول: إن لي نساء وجواري فأزين نفسي كي لا ينظرن لغيري.

وعن يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي قال: أتيت محمد بن الحنفية فخرج إلى في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية طيب معروف.

فقلت: ما هذا؟ قال: إن هذه الملحفة ألقتها على امرأتي، ودهنتني بالطيب.

وأود أن أقول إن النساء يشتهين من الرجال ما يشتهي منهن الرجال. وينبغي على الزوج أن يتزين لزوجته بما يناسب رجولته.

وقديما كان من الزينة المباحة للرجل تختلف عن زينة الآن فقد كان يعد من الزينة لبس خاتم الفضة، وتغيير الشيب بالصفرة والحمرة، والطيب والسواك، وتختلف الزينة للرجال على تفاوت أحوالهم، فربما كانت زينة تليق في وقت، ولا تليق في وقت آخر، وزينة تليق بالشاب، وزينة تليق بالشيوخ ولا تليق بالشباب.

ويجب على الرجل أن يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجل فيعفها ويغنيها عن التطلع إلى غيره.

وقد قرأت أنه جاء شخص يوما ودخل على العباس عم الرسول وقد كان قادما من سفر بعيد فقال: فوجدته أمام المرآة يرتب شعره فقال له: الناس تأتي إليك وقد ضربت أكباد الأبل شهرا لمقابلتك وانت مشغول أمام المرأة تتطيب وتتزين.

فقال ابن عباس ﷺ: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين إمرأتي لي – أو قال أتزين لزوجتي.

وكما أردت أن أتحدث عن الزواج من نواحي كثيرة فمن أهم تلك النواحي العلاقة الحميمية بين الزوج وزوجته، فتلك العلاقة تحتاج إلى استعداد نفسي وإلى اهتمام، ولكن كثيرين يعتبرونها شيء عابر ولا يهتمون بأي شيء فيها.

ربما أحيانا تكون وليده اللحظة ولكن في تلك الحالة فهي لابد أن تكون وليدة الشعور المتبادل بين الزوجين، وليس شعور من طرف واحد، لان ذلك يجعل أحد الطرفين في حالة غير جيدة أو بمعني أصح في حالة سيئة.

وربما لو تكررت تلك المواقف الفجائية والتي تعبر عن رغبة أحد الطرفين فقط ولا تعبر عن رغبة الطرف الآخر والذي غالبا ما يكون الزوجة، فأنه تجعل في نفسها كراهة لتلك العلاقة، بل أنها تفسد الود القائم بين الزوجين.

ومما رأيته في واقع الحياة يجعلني فعلا أريد التعبير عما تسببه هذه العلاقة.

فبعض الرجال أو النساء أيضا لا يحلو لهم الحديث عن طرف آخر غريب إلا قبل إقامة تلك العلاقة، كمدح شخص زميل أو قريب من ناحية الزوجة، أو مدح زميلة أو جارة أو قريبة، أو حتى الإطراء على شكلها وملبسها وذلك يقوم به الزوج، بل أن كثيرات فسدت علاقتهن بأزواجهن لأن هناك بعض الأمور لا تؤخذ بالاهتمام ولا يعول عليها، ولكن بالعكس فتلك التصرفات تقطع أواصر المحبة

بين الزوجين.

كنت أعرف صديقة كانت تحب زوجها جدا. ولكن بسبب كثرة كلامه عن النساء وإظهار أنه مفتون بهن حطم معاني جميلة لدي زوجته، فإن لم يكن أفقدها الثقة بالنفس. فقد أفقدها القدرة على الحياة بسعادة وهي معه.

ولا تظنوا أن النساء في تلك الأمور عاقلات. فإن المرأة تغار حتى من خلال الاهتمام بفنانة على شاشة التلفاز لن يراها في الواقع

وقد يظن البعض أن تلك الأمور توافه لا يجب الأخذ بها ولكن أحب أن أقول إن أي امرأة مهما قالت لا يعنيني وأنا واثقة من نفسي، وأنا أري نفسي أجمل امرأة في العالم، فكل ذلك كلمات تريد بها أن تهون على نفسها وأن تخفي ضعفها لأن في الحقيقة كلمات الإطراء من الشخص الذي أحبته على غيرها يجعلها تشعر بالغيرة

وذلك في بداية الأمر ولكن مع تكرار الكلام تشعر البرود والركود، وتشعر بالتباعد، وبالتالي تفقد القدرة على الشعور بالسعادة عندما يجمعها بزوجها لقاء حميمي.

بالطبع بعض من يقرأ ذلك سيقول أن تلك مبالغة، ولكنها هي الحقيقة فعلا. فلو قرأت أي امرأة تلك الكلمات وعبرت عن رأيها بصدق بينها وبين نفسها لصدقت على كلامي.

ولكن الرجال لا يريدون أن يعترفوا بذلك، بل أنهم تعودوا على تسخيف الأمور وتسطيحها غير مبالين بالنتيجة التي تحل بهم مع زوجاتهم بل أن البعض أساسا يري أن ذلك الحديث هراء لا يعدو أن يكون من شخص مرفه ويعبر عن طبقة من البشر مرفهين.

ولكن لا، بل أنه حقيقي وجاد، فتجاهل المشاعر وتسخيف الأمور وتسطيحها يؤدي إلى نهايات غير سعيدة.

وكما أن بعض النساء لا تستطيع إلا أن تحافظ على بيتها وزوجها حتى وإن لم يكن حبا فيه، فبعض النساء الأخريات قد يصل بهن الأمر إلى الخيانة، وذلك لأنها في حالة فقدان ثقتها بنفسها فإنها تسعي وتذهب وراء من يمنحها تلك الثقة.

ولذلك نجد أن كثيرا من النساء أصبحت لديهن علاقات بزملاء في العمل ومع بعض الرجال من الجيران وذلك واقع موجود لا نهرب منه بإنكاره، ولكن للوصول إلى حل أي مشكلة لابد من معرفة سبب تلك المشكلة، حقيقة هي ربما ليست علاقات بالمعني المفهوم ولا خيانة بالمعني الكامل. ولكن من وجهه نظري أري أن الخيانة تكون حتى ولو بالإعجاب بشخص غير الزوج.

وأحدد بشخص لأنه من العادي أن نعجب بتفكير شخص، أو صوته، أو أداءه التمثيلي، أو عمله، ما أقصده ليس إعجاب بذات الشخص، ولكن عندما يتطور الأمر ويتحول الإعجاب إلى اهتمام، فقد يحدث ما لا يحمد عقباه.

وكما أن بعض النساء ضعيفات، فكثيرات قويات ولا تلجأن سريعا للحصول على شيء من شخص غير الزوج، فما يهما هو زوجها حتى ولو كان بتلك الصفات وجارحا في أسلوبه وحديثه ومهملا لها.

ولكن يصبن بالإحباط، وتتحول سلوكياتهن للقسوة مع الغير، وقد يتطور الأمر لطلب الطلاق لسبب تافه وبعيد عن السبب الرئيسي للطلاق.

وقد تعودنا في مجتمعاتنا الشرقية عموما بكل الوطن العربي أن الأهل لهم الدور الأكبر في اختيار الزوج للفتاة بل وكذلك اختيار الزوجة للولد الأبن.

ولا أعرف ما هو سبب ذلك ربما يكون من وجهه نظر البعض أن الاهل أكثر خبرة في تكوين الرأي السليم عن شريك وشريكة المستقبل. حيث أن الزواج ليس هو ارتباط بين شخصين فقط وإنما ارتباط عائلي بين أسرتين.

وفي الوطن العربي وفي العالم كله يخضع الزواج لقواعد الحديث الشريف تنكح المرأة لأربع. فقد قال رسول الله ﷺ: تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فأظفر بذات الدين تربت يداك. صدق رسول الله

وذلك إقرار لما هو موجود في الواقع وكذلك تقريرا لما هو داخل النفس البشرية

وقال كذلك ﷺ: إلحقوا النساء بأهوائهن. ولكن ذلك غير معمول به من أغلب الناس.

واتذكر يوما كنت أعمل في سلطنة عمان وجاءت إلى المكتب في مسقط العاصمة شابة تريد رفع دعوي على والدها لأنه لا يريد تزويجها بمن تحب، وبعد أن أقامت الدعوي تركت منزل والدها وعاشت بمفردها وظلت على علاقة بهذا الشاب.

فحدثت والدها أثناء سير الدعوي، أحاول إقناعه بالموافقة على زواج البنت بمن تريد، فقال لي أنه لا يستطيع مواجهه الأهل والأعمام بموافقته على زواج أبنته من هذا الشاب.

بالرغم من علمه أنها على علاقة به، وخسرنا الدعوي وقتها ثم لتزايد الحالات وكثرة الدعاوي والنتيجة أن الأب ولي شرعي له حق رفض الزواج لعدم الكفاءة. فقد أصدر السلطان قابوس بعدها قرار بأن يتم نظر قضايا المطالبة بالموافقة على الزواج في المحكمة العليا تحت مسمي قضايا العضل. وقد تزوجته حاليا وانجبت منه أبناء.

وبالرغم من أن الرسول جعل هذا الحديث وهو الحالات الأربع التي تعتبر أساس لاختيار الزوجة وكذلك الزوج ولكن يوجد الحديث الآخر وهو الحقوا النساء بأهوائهن.

وللأسف غير معمول به في ٩٩٪ من الوطن العربي – بل وبالنظر وبالسؤال عن مجتمعات أخري علمت أن الأهل يختارون الزوج أو الزوجة لأبنائهم وذلك في الهند وباكستان وأحيانا في الدول الغربية التي تدعي المدنية والتقدم، فهم قد يرفضون الزواج لأبنتهما من شخص معين بالرغم أنها على علاقة خاصة به وقد يحدث حمل ولكن للزواج حسابات أخري وأن ما نشاهده على شاشات التلفزيون من أفلام هو مجرد أفلام فقط.

وقد أخبرتني صديقة لي مغربية الجنسية أنه بعد وفاة والدتها أراد والدها الزواج، ونظرا لأن كل أخوتها البنات كن متزوجات، وكذلك الأبناء فكان الأب يريد أن يتفرغ لحياته هو ويتزوج، وأراد تزويجها قبله، فتقدم لها صديق والدها والذي هو في مثل عمره والذي هو أكثر من ضعف عمرها، وقرر الأب زواجها ورضخت لرغبة لأب وتزوجته، ولكنها عادت مرة أخري لمنزل والدها مطلقة بعد أقل من عام تحمل خيبة أمل وحطام.

ولا أقصد بذلك أن السن هو السبب الرئيسي في فشل زواجها، ولكن السبب هو نظرتها لهذا الرجل الذي كانت تراه منذ طفولتها وتناديه عمي وكبرت أمام عينيه وما كانت موافقه على الزواج منه.

ولكنها عندما عادت مطلقة لم تسترح مع زوجة الأب، فقرر والدها زواجها من شخص آخر متزوج من زوجة قبلها لتعيش مع الضرة ولكي يستريح الأب من المشاكل

ورضخت مرة أخري لرأي الأب وهروبا من عدم الراحة مع زوجة الأب، ولكن أستغل الزوج الجديد هذا الوضع وأصبح يعاملها معاملة سيئة بالرغم وكما قالت لي أنها أحبته وتمنت أن تستمر معه، ولكن كان الطلاق للمرة الثانية، ثم قررت السفر لإحدى دول الخليج للبحث عن عمل، وكسب العيش بدون مذلة الحياة.

وكما يفرض الآباء على بناتهم أشخاص بعينهم في الزواج فإنه كذلك يخضع الاختيار لزوجة الأبن لكثير جدا من القواعد، ولكن أخرها في الاختيار هو أفضلها من ناحية الشرع.

فقد دلنا الرسول ﷺ على المعايير التي يتم بناء عليها اختيار شريك أو شريكة الحياة وكما ورد في الحديث الشريف تنكح المرأة لأربع، لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فأربح بذات الدين تربت يداك.

صدق رسول الله ﷺ.

وفعلا ذلك هو الترتيب المتعارف عليه والمعمول به، فدائما يفضل الرجل المرأة التي لديها المال، حيث يطمئن على أنه سيعيش في رغد، وحيث أن أولاده سيعيشون في رغد أيضا. ويا حبذا لو كان

المال مقرونا بجمال، وبعض الرجال يفضلون الجمال، والبعض الآخر يفضلون الحسب والنسب. أما ذات الدين فأهلا بها في نطاق ضيق جدا مع أناس قليلون. خاصة إن لم تكن جميلة. أو كانت فقيرة.

وقد تختار الأم زوجة أبنها وفقا لقاعدة القربي فغالبا ما تريد الأم أحدي بنات قريباتها أو من بنات أخيها أو بنات أختها، لأنها تتوقع أن في هذه الزوجة ولاء لها وحب لها موروث، وتضع في حسبانها في لحظة الاختيار المستقبل لها هي، فتختار من تتحملها عندما يتقدم بها العمر فقد تضطرها الظروف للاحتياج لمن يقوم على شئونها، وليس أقرب لها من وجهه نظرها من بنت أخيها أو بنت أختها.

وغالبا أيضا ما تكره قريبات الزوج، ولا تريد أن يرتبط أبنها بأي واحدة من قريبات زوجها. حيث أنها تحمل دوما ذكريات سيئة مع أغلب النساء قريبات الزوج، وقد يخضع الزواج لقاعدة اكتساب المال فقد أصبحت ظاهرة البحث عن المال تشغل بال وفكر الكثيرين من الشباب وأصبح الزواج نفسه وسيلة من وسائل كسب المال.

بل يبدأ ذلك من لحظة الاختيار ففي البلاد العربية ومن خلال عملي، عندما كانت معي قضية وأكون المحامية مع الزوجة فأنها تحكي لي كيف خسرانها في هذا الزواج ماليا مع خسرانها معنويا.

وكيف أنها هي التي قامت له بدفع المهر من مالها الذي أذخرته من عملها، ليقوم بدوره بتقديم المال لوالدها على أساس انه المهر من ماله.

فالبنت في بعض الأحيان هي التي تدخر المال لكي تحصل على الزوج، فهي تعطيه المال ويعطيه لوالدها الذي يطالب بمهر أبنته شرعا، ولكن ذلك يجعل الحياة الزوجية قائمة على غير أساس سليم، حيث أن هذا الفتي يرضخ لمن تعرض عليه المال، وحتى لوكان يريد فتاة أخري ربما لا تملك المال الذي تقدمه له، فأنه يفضل صاحبة المال.

وذلك لا يحدث في كل الدول العربية فقط ولكنه الصفة الغالبة في كثير من تلك الدول.

وإن كان حال الدول العربية في هذه النقطة أفضل حالا من بعض الدول الشرقية، حيث أن الفتاة في الهند مثلا هي التي تقوم بتجهيز المنزل كاملا وهي التي تعد للزواج وتقوم بدور الرجل، فهي تتغرب لكي تصنع منزلا للزواج.

بل أحيانا تكون متزوجة ولديها أولاد ولكنها تتركهم في بلدها مع أهلها أو أهل زوجها وتقوم بالعمل خارج بلدها لتوفير المال للأسرة للإنفاق.

ويتضح أن الأحوال الاقتصادية تتحكم في أشياء كثيرة من حياتنا الاجتماعية، فكثيرات جدا خاصة في الدول التي تعاني من تردي الأوضاع الاقتصادية فإن الفتيات والنساء عموما تتخذن قرارا معاكسا لما يرغبن بل أنه مرفوض تماما من وجهه نظرهن ولكن الذي يدفعهن إلى اتخاذ ذلك القرار هو الاحتياج المالي وعدم القدرة على العيش بمفردهن أحيانا.

ولكن الأغلب الأعم هو عدم القدرة على الإنفاق على أنفسهن وعدم وجود مأوي كمنزل تسكن فيه الفتاة دون التعرض لمضايقات من أحد.

بل والأسوأ هنا أن بعض الرجال يرفضون تزويج بناتهم لأنهم يستفيدون من عمل البنت، وأنه في حالة زواجها سيخسر الأب مورد رزق للأسرة.

وقد رأيت ذلك كثيرا في قضايا كثيرة، تقوم الفتاة برفع دعوي ضد والدها لحصول على حكم من القاضي بتزويجها، حيث أن القاضي ولي من لا ولي له، وحيث أن تلك البلدان لا تعمل بمذهب الإمام أبي حنيفة والذي يجيز للفتاة الرشيد أن تزوج نفسها بنفسها دون ولي.

وكذلك قد يكون الدافع للزواج من فتاة بعينها قاعدة الشراكة بين طرفين سواء هي الفتاة نفسها أو والدها مثلا، فإن الهدف في هذه الحالة هو ضمان استمرار المشروعات التجارية، أي زواج اقتصادي دون أن يكون هناك الود والحب المطلوب، ومع أول هزة في المشروع يبدأ هدم جدار المنزل المزعوم.

أما القاعدة الأكثر وجودا وانتشارا فهي طاعة للأهل، وأذكر يوما جاءتني رسالة على الخاص فيس بوك يطالبني شخص بالحديث عن ضغط الأهل على الفتي أو الفتاة لإجبارهم على الزواج من شخص لا يرغب بالآخر، ولكنها رغبة الأهل في ذلك.

وأذكر يوما قابلت شاب جلس بجواري في الطائرة وهو حزين لأنه مسافر أجازته وسيكون مع زوجه لا يحبها، رغم أنها أبنة خالته، ولكن أمه قد اختارتها له على غير رغبة منه، ولكن فقط لأنها أبنه أختها، وقال بالحرف أنه لا يتقبلها كزوجة، ولكنه يشعر أنها مثل أخته، بل أنه يريد البحث عن زوجة أخري يشعر معها أنها زوجته.

فقلت له ولماذا تزوجتها، فقال: كنت خاطب فتاة واكتشفت أن الفتاة تخونني مع آخر، وعندما فسخت الخطبة وأمي تعلم السبب وجدت أن الإنسانة المضمونة هي بنت أختها، وأنا أري أن الأم ربما من وجهه نظرها ليس هو التحكم، وإنما هي كأم تريد أن تضمن لأبنها إنسانة مخلصة له.

وأردت في هذه الطبعة الثانية الحديث عن ظاهرة أخرى

موجودة بالمجتمع المصري في الصعيد وكذلك في وجه بحري، وهي زواج القاصرات بدون عقد شرعي، وذلك يطلقون عليه زواج السنة.

وللأسف ينتج عن ذلك أولاد يصعب تسجليهم في السجل المدني قبل أن يتم الزواج رسميا، ويصعب حصولهم على التطعيمات، أو الالتحاق بالمدارس في السن المناسبة.

بل والأسوأ أنه قد تم رفع بعض القضايا لإثبات النسب، حيث أنه بعد الزواج وبعد أن أنجبت الزوجة، قام جد الطفل بكتابة أسم الحفيد بإسمه هو ليصبح في السجلات الرسمية أخ لأبيه نفسه، في مخالفة صريحة للشريعة الإسلامية والتي نهت عن أن ينسب الطفل لغير أبيه ثم حدثت مشكلات بين الزوجة وزوجها، فتم طردها من المنزل بعد أخذ أبنها منها. حيث لا يوجد ورق رسمي يثبت أمومتها له، وأن شهادة الميلاد باسم الجد والجدة.

وفي حالة أخري قامت الزوجة بعد طلاقها برفع دعوي إثبات نسب، لأبنتها واستعانت بالطبيب المولد وكل الشهود لواقعة الزواج والولادة، وحمض DNA وتحصلت على حكم بإثبات أمومتها للطفل.

وبعد حصول الأم على حكم في أول درجة قام الزوج باستئناف الحكم.

وذلك يوضح ضياع حق القاصرة تماما وحق أولادها في ذلك الزواج دون السن القانوني، والذي هو زواج غير موثق رسميا.

الأديان الأخرى والزواج

ولنذكر نبذة بسيطة عن اختيار الزوج أ والزوجة في اليهودية والمسيحية، حيث أنها تشريعات سابقة على التشريعات الإسلامية، ولكنها موجود بعضا منها في المجتمع الذي نعيش فيه بحكم التأثر المجتمعي والسلوكي بسبب الحياة المشتركة أو الإرث من العادات والتقاليد التي كانت في زمن سابق.

فعلي سبيل المثال توجد بعض أساسيات للاختيار تعد من ضمن القواعد التي يخضع لها معيار اختيار الزوجة ولا زالت موجودة إلى الآن وهو الخضوع لقاعدة الواجب.

وذلك عندما يتم فرض زوجة الأخ المتوفي على الأخ، سواء كان متزوجا أو كان أعزب، وذلك بدافع المسئولية عن أسرة أخيه الذي توفي، وعانت كثير من النساء من ذلك سواء أكانت الزوجة الأولي أو الزوجة الثانية، وعاني كثير من الرجال من ذلك أيضا،

وكنت أعتقد أنها عادة جاءت من شبة الجزيرة العربية إلى أن قرأت في التوراة، وفوجئت أن كثيرا جدا من أسفارها تتناسب وتمشي وتحذو حذو الجاهلية وبعضها أقرب للإسلام أيضا، ولكنها بصيغة أفعل أو لا تفعل.

وأن السبب الذي يعزو إليه الأهل زواج أبنهم من زوجة أخيه المتوفي هو قيامه بتربية الأبناء الصغار، كي يكون مسئولا عنهم وكي لا تفكر أمهم في الزواج عندما تكون شابة صغيرة، لأن الاهل حينئذ يخافون على ميراث الأولاد في حال زواج الأم بزوج غريب.

وقد جاء في سفر التثنية " سبب زواج الرجل من زوجة أخيه إذا قال: إذا سكن أخوة معًا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تَصِر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخي الزوج. والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يُمحى اسمه من إسرائيل"

(تث ٢٥: ٥، ٦).

وهذه العادة كان مُتعارف عليها بين الآباء، فشريعة موسى لم تنشئ هذا النظام، إنما كان سائدًا قبل موسى بمئات السنين، ومن يرجع إلى سفر التكوين يجد قصة أولاد يهوذا عيرا وأونان وشيلة، فقد تزوج عيرا من ثامار وبسبب شره أماته الرب " فقال يهوذا لأونان أدخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلًا لأخيك"

(تك ٣٨: ٨).

وعندما تصرف أُونان تصرفًا خاطئًا تعرض لعقوبة شديدة أودت بحياته " فعلم أُونان أن النسل لا يكون له. فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يُعطي نسلًا لأخيه. فقبح في عيني الرب ما فعله. فأماته أيضًا"

(تك ٣٨: ٩، ١٠)

فقد طمع أُونان في ميراث أبيه، ليقتسمه مع أخيه شيلا فقط، ويكون له هو نصيب الأسد، ويحرم أخيه المتوفي من الميراث، ولذلك رفض أن يُنجب ابنًا من أرملة أخيه المتوفي.

ويقول أحد الآباء الرهبان بدير القديس أنبا مقار " كشف الوحي هنا عن سلوك أُونان الذي قبح في عيني الرب فأماته. فهو ينمُّ عن نقص شديد في المشاعر الطبيعية للمحبة والتقدير لأخيه الذي مات، وأنانيةٍ وطمعٍ في أن يستأثر لنفسه بكل شيء.

أما ما هو أكثر شناعة من هذا كله فهو سلوكه الذي يُعتبر جريمة ضد القانون الإلهي للزواج"(١).

٢- قصد الله من هذا التشريع أن يظل اسم المتوفي بين شعب إسرائيل ولا يُمحى

" لئلا يُمحى اسمه من إسرائيل"

(تث ٢٥: ٦)

وأيضًا يظل ميراث المتوفي في حوزة أسرته، ولاسيما أن الأرض كانت تعتبر هبة إلهيَّة مجانية لكل سبط وكل عشيرة، وقد قسَّم يشوع بن نون هذه الأرض على الأسباط بالقرعة، فالإنسان اليهودي نظر بعين التقدير لهذا الميراث، ومن أجل هذا ضحى نابوت اليزراعيلي بحياته ولم يُضحي بميراث آبائه. ولهذا كان هناك ضرورة لشريعة الولي، حتى أنه لو كان المتوفي وحيدًا ليس له أخوة يكون الولي هو أقرب إنسان له. أما إن رفض جميع الأقارب واحدًا فواحدًا الزواج بهذه الأرملة، فحينئذ تصير هذه الزوجة حرة تتزوج بأي إنسان من أي سبط.

ويقول القمص تادرس يعقوب " ما هو غاية هذا القانون؟

أولًا: كان الإنسان يرى في نسله امتدادًا لحياته، وبالتالي إن مات دون إنجاب ابن يعني إزالة اسمه من العالم نهائيًا. لهذا كان الأخ أو

الولي يلتزم أن يتزوج أرملة الميت لا لشيء إلاَّ لإقامة نسل للميت فلا يُمحى اسم الميت من العالم. هذه العادة قديمة قبل استلام الشريعة كما جاء في (تك ٣٨: ٨).

ولا يجوز للأرملة أن تتزوج آخر غير الولي اللهم إلاَّ إذا رفض الولي الزواج بها"(٢).

٣- إذا رفض الولي الأول وهو الأقرب للزوج المتوفي الزواج بأرملته وإقامة نسلًا باسم هذا المتوفي، فهذا يُعد أمرًا شائنًا، حتى أن هذه الأرملة تتقدم أمام شيوخ المدينة " وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول هكذا يُفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه" (تث ٢٥: ٩) وخلع النعل يشير إلى خلع المسئولية عن الولي.

ويقول الأرشيد ياكون نجيب جرجس " يصير هذا الشخص موضعًا للاحتقار:

(أ) فتخلع زوجة الأخ الميت نعله (نعل الولي) من رجليه كعلامة لاحتقاره وخلع الولية والمسئولية عنه..

(ب) وتبصق في وجهه، والمقصود في الغالب أن تبصق على الأرض أمام وجهه وكان هذا علامة لاحتقاره أيضًا.

(ج) وتصرخ وتقول (هكذا يُفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه) أي الذي يرفض أن يحفظ اسم أخيه في سجلات شعبه ويُقيم له نسلًا لكي يستمر بيته مفتوحًا وعمارًا.

(د) وزيادة على ذلك فإن بيت هذا الرجل يحمل لقبًا جديدًا يدل على عمله حيث كانوا يدعونه دائمًا (بيت مخلوع النعل)"(٣).

أما العهد الجديد فقد ورد فيه (صارت أسمائنا مكتوبة في سفر الحياة، وليس لنا مدينة باقية، إنما ننتظر العتيدة، أورشليم السمائية، كما ذكرنا أيضًا هنا فبموقع الأنبا تكلا هيمانوت في أقسام أخرى. ولذلك لم تعد هناك ضرورة لشريعة الولي، وإذ صار الزواج سرًا مقدَّسًا، يحل فيه روح الله القدوس فيوحد الزوجين في جسد واحد، لذلك لا يصح أن يتزوج أحد بشقيق قرينه متى مات هذا القرين، لأن أخو الزوج هو أخ للزوجة التي صارت جسدًا واحدًا مع زوجها المتوفي، وهكذا أخت الزوجة صارت أختًا للزوج، ولا يمكن أن يتزوج أحد أخته (أخت زوجته المتوفاة) ولا تتزوج واحدة أخيها (أخو الزوج المتوفي).

المصدر - كتاب العهد القديم - وكتاب العهد الجديد - جوجل

وإذا كان من العادات في اليهودية في الزواج هي عادة زواج الأبن من أرملة أخيه، وذلك بحكم شريعتهم فالغريب لماذا أستمرت تلك العادة إلى الآن.

أم من دافع المسئولية أم من دافع عدم خروج الميراث لأحد غريب وإمكانية السيطرة على الزوجة والأبناء.

أعرف كثيرين ارتبط كل منهم بأرملة أخيه المتوفي وعاش تعيسا- خصوصا إذا كان هذا الزوج شاب لم يسبق له الزواج،

وفرضت عليه أرملة أخيه من قبل والده أو والدته من أجل تربية الأبناء، وغالبا ما يكون هذا الزواج بدون أي مراسم للفرح، حيث يكون الأهل رافضين تلك الفرحة، ويتم ظلم الزوج الشاب الذي لم يختر عروسته، وربما مرتبط عاطفيا بأخري، والتي ترفض هي الارتباط به بعد أن أرتبط بغيرها.

علمت من صديقة لي أن أخوها الأصغر تزوج من أرملة أخيه، لأن عندها أبنة ولابد أن تتربي وسط أهل أبيها، وقالت لي أخته أنه لم يكون هناك فرح أو زفاف، بالعكس كان يوم بكاء ودموع في الأسرة، بل أنه بني بها وهي ترتدي ثوب الحداد الأسود، فهل من أجل تقاليد وعادات بائدة نهدم سعادة الناس.

*****

التفرقة الرابعة: الطـــــــلاق

لا تشجعوا بناتكم على الطلاق بسهولة، أنصحوهن وقدموا لهن العون والإرشاد لكي تستمر الحياة الزوجية، حاولوا الوصول إلى معرفة أساس المشكلة.

ولابد أن يكون هناك وقت للتفكير في اتخاذ قرار الانفصال، ولكن لا تتخلوا عنهن في حالة إصرارهن على طلب الطلاق. لأن التأخير قد يمنح الفرصة للمراجعة وإصلاح الأمور، أما تعجل الطلاق فهو هدم لأسرة، ومن الصعب بناءها من جديد.

ولكن لا تجبروهن على الحياة رغما عنهن، لا تفرضوا عليهن قيودا للبقاء وكذلك لا تتخلوا عنهن، فلا تجعلوهن يعيشن في ذل، ولا ترغموهن كذلك على فعل الخطأ أو الحرام.

لأن المرأة عندما تضيق بها السبل ربما تكون ضعيفة ولا تستطيع تحمل الحياة مع شخص تكرهه أو شخص لا يعطيها حقوقها، أو يعذبها في حياتها الخاصة فتلجأ إلى ارتكاب الحرام.

وأقول ذلك لأن بعض النساء غير مسموح لها بالطلاق لأي سبب كان، وعندما تتزوج فقد حكم عليها بالبقاء حتى ولو في ذلك موتها.

ففي مصر مثلا بعد أن يتم الزواج قد لا تسير الحياة كما ينبغي ولأي سبب من الأسباب تستحيل الحياة وتتعذر، ولكن نجد المجتمع والأهل يطلبون من الزوجة الاستمرار، لاعتبارات عديدة، بعضها خوف حقيقي على البنت من الطلاق وفقدان الأسرة وتحطيم الأمل.

وبعضهم يضغطون عليها رغبة في أن ينصلح الحال فلا داعي لأن تخسر حياة من الممكن أن تنعدل والحال ينصلح.

وللحق يوجد حالات كثيرة أيضا بعد أن تبعد الزوجة عن الزوج يراجع كل منهما نفسه ويكتشفان أن الحياة لهما معا أفضل من حياة كل منهما بعيدا عن الآخر فيعودان لبعضهما.

أما السبب الأخر ففي أحيان كثيرة لا يريد الأهل تحمل مسئولية أبنتهم مرة أخري عندما تعود إليهم مطلقة وأنهم عاشوا في راحة عندما أصبحت مسئوليتها في عنق شخص آخر، والذي ربما تكون هي في الأساس المسئول عنه وليس هو المسئول عنها، في زمن أصبح الشاب يلقي بالمسئولية على عاتق المرأة أكثر.

والأسوأ أنه فعلا كثيرا ما يشعر الأهل بل ويتحدثون عن ذلك وهو أنه متي يأتي أبن الحلال ليخلصنا منك ومن الخوف عليك.

وهذا الأسلوب موجود في الطبقات الفقيرة أكثر من الطبقات الميسورة.

كما أنه في كثير من المجتمعات تعيش المرأة مقهورة في بيتها ولا تطالب بالطلاق خشية من كلام الناس، وأذكر على ذلك مثالا بعيدا عن مجتمعاتنا العربية فقد تقابلت مع صديقة من نيجيريا وتحدثنا عن الطلاق وعن الظلم الذي تتعرض له المرأة فوجدت أن المرأة في أفريقيا ليست أسعد حالا، فهي قد تعيش حياة مهينة وتتعرض للضرب من الزوج، ولكنها لا تطالب بالطلاق خوفا من تناول سيرتها ومن كلام الناس هناك.

وأذكر يوما نشرت صفحتي بالفيس بوك فقرة كتبت فيها :

الي كل امرأة

لا تعيشي حياة الزيف فاذا لم تحبي من تعيشين معه. او على الاقل ترضين عنه فلا تستمري اجسادنا لم تخلق للبيع فلا تبيعي الهوي. ولا تشتري الحب.والقلوب خلقت.للحياة لا للموت فلا تكوني عبدة احسان.

واضف شرح للمقصود حيث وردت تعليقات كثيرة عن المقصود بالمعني فقلت أن قصدي بمن تبيع الهوي. هي من توهم شخص بالحب وتعيش معه من اجل ماله.

واقصد بلا تشتري الحب. اي لا تدفعي لشخص مال من اجل ان يحبك.

فكل ذلك زيف

لأن من يحب شخص يحب روحه. وليس من اجل اي شيء.

وأن أيضا من لا يحب الطرف الاخر أو لا يوجد بينهما مشاعر سابقة ففي الزواج يكفي الشعور بالرضاء.

اما ما نراه من السخط والكراهية. ومع ذلك استمرار الحياة فذلك الزيف والخداع المرفوض قطعا من وجهه نظري.

ودخلت لي صديقة على الخاص تستشيرني، وقالت لي أول ما قالت: أنا قرأت كلامك على الفيس وأشعر وكأنك تتحدثين عني، فقلت لها اكتبي لي رقمك واتصلت بها لا أتأكد من مصداقيتها، ربما يكون رجل متنكر أو شخص يلهو، وحدثتني عن قصتها، والتي كانت في منتهي السوء.

فقد قالت لي: تزوجت أبن عمي بناء على رغبة الأهل وبعد سنتين من الزواج وانجاب الأبن الأول فكر أن يسافر للخليج للعمل ولم يكن لديه مال، فطلب مني بيع ميراثي من والدي لأساعده، وفي ذلك الحين رزقنا الله بالأبن الثاني، وبعت ما أمتلكه لمواجهه الزمن من أجله ومن أجل مستوي أفضل لنا جميعا وأعطيته المال وسافر للخليج.

ثم بعد سفره مباشرة تزوج هناك من فليبينيةالجنسية وعلمت بزواجه ولم أخبره بعلمي توقعت كذب الخبر ولكنه عاد في أول إجازة من السفر ومكث شهرا لم يعطني حقي كزوجة إطلاقا، وحسب ألفاظها حتى كلمة حلوة لم يقلها لها، ولم يقل لها حتى كلمة وحشتني حسب قولها

ثم سافر مرة أخري وتيقنت أنه متزوج هناك من تلك الفلبينية، وتقبلت من أجل الأولاد، وطبعا خسرت مال ورثته عن والدها للزمن ولم يكن ذلك الأسو أفي القصة.

بل ما أسوأ منه قبلت الزواج لزوجها من أخري ورضيت أن تكون شريكة مع زوجة أخري فيه. ولم يكن الأسوأ.

فالأسوأ منه لم يعطيها حقها كزوجة تنتظره عام كامل، ثم يرجع من حيث أتي وهي معلقة لا متزوجة ولا مطلقة.

ولكن ليس ذلك الأسوأ فالأسوأ انه في كل مره كان يعود لمصر لا يعطيها حقها الشرعي، وحسب قولها طلقها أربع طلقات، واستغربت لماذا أربع طلقات هل كان يريد تأكيد الطلاق ولا أيه؟

واصبحت مطلقة وهي في سن الخامسة والثلاثين عفوا أنها

تعتبر مطلقة أو بغير زواج من سن الخامسة والعشرين.

وليس ذلك الأسوأ فالأسوأ فعلا والأسوأ من كل سوء عندما علم أهلها بكل ذلك قالوا لها لا تخرجي من بيتك واستمري في تربية أولادك ولا تخبري الناس انك مطلقه، بل عيشي حياتك والبسي واخرجي على حس أنك متزوجة

هل هذا مقبول ؟؟؟؟

هل هذا يجوز شرعا ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

ألا يخاف هؤلاء الأخوة أن يأتي مطلقها من السفر ويحدث شيء بينهما في الحرام، وأي منطق وأي دين أن تظل مطلقة أربعة طلقات مع زوج قد قال لها أنه لا يريدها وكيف لها أن تستمر فقط كي تكون مع الأولاد.

قلت لها اتركي منزله وقولي لكل الناس انك مطلقة، فقالت لي : الناس ينظرون للمطلقة نظره غير جيدة عندنا في البلد والمجتمع. ذلك المجتمع الظالم المعقد .

وأضافت ثم أن أخوتي قالوا لي لو أتيتي إلى هنا (يقصدون منزلهم والإقامة معهم) وعرف الناس انك مطلقة لا يأتي معك أولادك، فقلت لها كم عمرهم قالت ١٤ و١٦

فقلت لها أتركيهم سيكبرون وسيكون لهم مستقبلهم وسيكون ضاع عمرك، وقولي لكل العالم أنك مطلقة، واتركي منزله وامواله واولاده، عيشي مره لنفسك وانت راضيه عن نفسك، والله موجود في السماء، سوف يعوضك بما هو خير، وقد يرزقك زوجا صالحا يعوضك عن كل ما ضاع منك. وحتي لو ظللت بلا زواج يكفي أنك

تعيشين كما تريدين وليس كما يريد الآخرون.

ما أذاني وأقض مضجعي وجعلني أشعر بكل سؤ في تلك القصة، ليس ما فعله الزوج، فلقد سمعت من قصص النذالة ما جعلني اتوقع كل شيء من أي رجل مهما كان مستواه الاجتماعي أ والعلمي، فهم عندما يكرهون يكونون سواء، ربما البعض تحكمه المبادئ في عدم الإساءة أمام الناس ولكن بنسبة ٩٩٪ يتحولون إلى جبروت وظلم وطغي.

وإن ما جرح قلبي وأذاني في قصتها هو رأي الأخوة، ألم يكن بينكم دم ولحم وأب وأم؟

ألا تتذكرون يوما كنتم تلعبون سويا؟ لا تربطكم بتلك الإنسانة المسكينة مشاعر؟

هل أصبح المجتمع أهم من راحة أختكم ومن كرامتها؟ أين الدين؟ أين الحب؟ أين مشاعر الإنسانية؟

أسوأ ما في رجل الصعيد أنه ربما يفضل العادات والتقاليد على الدين والشرع. وهذا أحد أسباب كتابتي لذلك الكتاب.

وللحق أقول ما سألتها من أي بلد في الصعيد رغم أنني أتصلت بها وكلمتها ربع ساعة، ولكن كان واضحا تماما من لهجتها أنها صعيدية.

الجديد أضيفه في هذه الطبعة الثانية، فقد أعلنت الطلاق وتركت منزل مطلقها، وتقدم لها شخص آخر وتزوجت منه وكان فيه العوض من الله، وفرحت جدا لها، وقد خاصمها أولادها في أول الزواج ومنعهم والدهم من الذهاب إليها أو رؤيتها، ولكن بمرور

الوقت تصالحوا معها وعادوا لمودتها والسؤال عنها في بيت زوجها الجديد – وقد سعدت جدا لسماعي تلك الأخبار.

أيها الناس اتقوا الله في النساء.

كما أود الحديث هنا عن ظاهرة غريبة أيضا فبعض المطلقات غير مسموح لهن بالزواج مره أخري ولا تستطيع المرأة أن تقنع اهلها بضرورة احتياجها لرجل، لا تستطيع أن تقول أنها تحتاج لرجل لتعيش معه حياتها الخاصة، ودائما ما تستخدم أسلوب التورية.

من كونها تريد بيت أو تريد شخص يصرف عليها أو تريد شخص يربي ولدها وعندما يرفض الاهل زواج أبنتهم لا يهتمون إطلاقا لاحتياجها لإشباع رغبتها الطبيعية التي أوجدها الله بها، ولكنهم ينظرون من مناظير خاصة بهم هم.

وأذكر مثالا لذلك إنسانة كنت أعرفها وتم طلاقها وهي في العشرين وكان لديها بنت ووتقدم لها أشخاص يريدون الزواج منها ولكن أمها كانت تقول لها مين سيربي أبنتك. وظلت الأم تقنعها برفض كل شخص يتقدم لها حتى أصبحت بنتها شابة وتزوجت البنت في سن العشرين أيضا وظلت الأم شابة تحتاج لمن يؤنس وحدتها، وما استطاعت فقد أصبحت من وجه نظر الآخرين مقبلة على دور الجدة.

ولا اعلم لماذا دائما البشر يقرنون بين الزواج والونس أو المؤانسة، ويعتقدون أن وجود المرأة مع أهلها يحقق لها الأمان ويبررون لها بين أن تكون الإنسانة بمفردها وبين أن تكون مع أهلها، بالرغم أنها في الحالتين تحتاج لرجل يكون هو زوجها، ولا يغني عن

وجوده في حياتها وجود الأب أو الأخ أ وحتي الأبناء.

ومن المساوئ التي تحدث للزوجة بعد الطلاق، السعار والجنون والأمراض النفسية جميعها التي تتجمع لدي الزوج بعد الطلاق عندما يصل إلى علمه أن هناك عريس لمطلقته، ويبدأ في محاربتها بكل أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة، ويشعر أنه سيموت لأن شخص آخر يريد أن يأخذ منه ما كان يملك،

ويشعر أن تلك المطلقة هي ممتلكاته الخاصة والتي يجب أن تظل حزينة تعيسة مقهورة لأنه تزوج وتركها، ولا يجوز لها أن تفرح، ويبدأ في استعمال السلاح الأشد فتكا، وهو محاربة الأمومة فيها أو استغلال تلك العاطفة

ويبدأ طرح الخيارات الصعبة، لو تريدين الزواج فيجب أن تتنازلي لي عن الأولاد، ويبدأ الشعور بالخوف لدي المرأة يقوي ويزيد وتبقي بين نارين نار الوحدة ونار الحرمان من الأولاد.

ولا يفوتنا هنا أن نتحدث عن موضوع العصمة فهو كتاب خاص بالحديث عن الزواج والطلاق

ولا نريد أن يفوتنا الحديث عن موضوع العصمة والتي من الممكن أن تكون في يد الزوجة ونجد أن بعض النساء في المجتمع وخاصة النساء اللاتي يمتلكن المال، غالبا ما تطلبن أن تكون العصمة في أيديهن خشية الوقوع تحت قبضة رجل ظالم يسلبهن حقهن أو يسيئ إليها ولا يعطيها الطلاق ويحاول ابتزازها.

ففي تلك الأحوال تحاول المرأة حماية نفسها بجعل العصمة في

يدها وذلك ليس غريبا بل هو ما أقره الشرع بالدين ولكن رفض تماما شرع الناس موضوع العصمة في يد الزوجة، ولا أدري لماذا الناس لا يريدون أن يفهموا الشرع كما هو.

إن إعطاء العصمة للمرأة ليس معناه سلبها من الرجل، فهي حق أصيل له، ولكنه قد يوكل غيره في استخدام هذا الحق، وذلك كتوكيله أي شخص بطلاق زوجته، فعندما يوكل شخص معين بالطلاق لا يعني ذلك أنه أصبح ليس لديه هو نفسه هذا الحق، بالعكس الحق موجود عند الأصيل بالأساس وهو الزوج.

فإن ما نراه في أفلام التلفزيون من أن الزوج الذي ترك لزوجته موضوع العصمة يطلب منها هو الطلاق وهي ترفض أن تطلقه، فذلك يحدث على سبيل المزاح فقط بالأفلام، فحتى وإن أعطي الزوج لزوجته العصمة أو الحق في الطلاق فإمكانه هو أن يطلقها في أي وقت يريد، ولكن بعض الرجال يعتبرون ذلك انتقاصا من رجولتهم وانتقاصا من كرامتهم.

ولكن وجهه نظري أنا الشخصية فأنني أري أن العصمة في يد الزوجة خطر على الزواج واستمراره، لأن المرأة متسرعة غالبا، وإنها مع حدوث أي مشكلة في الزواج، أو شعور بالغيرة من أخري يتطرق إليها وإلي علاقتها بزوجها ’ أو حتى الشك فيه سببا كافيا لكي تقوم بتطليق زوجها.

وإن الرجال لو نفذوا أول طلب للمرأة بالطلاق لأصبحت كل

نساء العالم مطلقات، فمن وجهه نظري العصمة في يد الزوج أبقي على الزواج وأدوم.

ما بعد الطلاق

فهو أن يتخلص الزوج أو الطليق تماما من مسئولية الأولاد، ويترك الزوجة أو المطلقة مسؤولة مسئولية كاملة عن كل شيء يخص الأولاد، سواء كانت تعمل أو حتى لو كانت لا تعمل.

وإذا أردنا الوقوف على حياة مثل هؤلاء النساء، فلنذهب إلى سوق الخضار لتجد النساء من بداية الصباح يجلسن لبيع الخضروات لأنهن مسؤولات عن أسر وأولاد.

ومن النساء من عملت بحياكة الملابس فقط من أجل الإنفاق على الأولاد، ومن عملت بالبيع بالتقسيط لتوفير المبالغ للإنفاق على الأولاد، وكثيرات كثيرات يعملن مثل الجندي المجهول للإنفاق على الأسرة، ومن تعمل مربية في دور الحضانة والمدارس ومن تعمل بالخدمة في المنازل، لقد أخترت الطبقة البسيطة أو تحت المتوسطة لأقول لكل رجل إن هناك نساء لم تحصل على قدر من التعليم، ولكن العوز أحوجها أن تعمل وتعمل.

وأن هناك نساء قمن بدور الرجل على أكمل وجه، ربما يكون الأب متوفي، وتقوم الأم بالرسالة وتربي الأبناء، ولكن هناك كثير من النساء المطلقات والتي تهرب أزواجهن من المسئولية، لم ينفق على الأولاد ولم يسأل عليهم، وعاش لنفسه، أو من أجل زوجه أخري

وأولاد أخرين.

أما ما تقوم به الموظفات فهو لا يقل عن دور الأم الغير موظفة، ولكن يجعلها تعمل في إطار أكثر راحة، وأفضل من حيث الحصول على راتب شهري تكيف نفسها وأولادها على الحياة به. وفي النهاية هي تقوم بدور أب أهمل واجبه، والدنيا كلها مليئة بالأمثلة، ليس في مصر فقط ولكن في كل الدول العربية، وحتي الأجانب.

كما أنه من الظلم الذي تتعرض له النساء كثيرا أن بعض النساء تعيش مثل المطلقات لان الزوج يعمل خارج البلاد وتمر الأعوام وراء الأعوام والشباب يمضي والعمر ينتهي ولا يتبقى من الإنسان سوي بقايا، يحاول أن يعيش بها حياة سعيدة، بعد أن يكون الشباب ولي والجسم وهن. والصحة ضعفت.

وأذكر هنا قصتين رأيتهما بنفسي وكنت أعرف صاحبتي القصة جيدا

- **القصة الأولي:** فتاة تزوجت من أبن عمتها عن حب وكان يعمل في دولة عربية، وبعد أن تم الزواج ومكث معها ستة أشهر سافر وتركها حبلي في تؤام، وعاد بعد أن أكملت البنات سنتين ومكث مع زوجته ستة أشهر وسافر وتركها حبلي أيضا في جنين توفي قبل أن يأتي للحياة، وعاد بعد سنة.

ثم ظل يسافر ويمكث بالخارج سنتين أو ثلاث سنوات ويعود

ليظل ستة أشهر، ومر على زواجهما عشرون عاما، وكان عمر زواجها الفعلي خلال تلك الفترة تقريبا عامين فقط، وكبرت البنتان وهما لا تعيشان مع الأب، بل كان الأخوال أقرب إليهما من الأب كثيرا.

وكبرت الزوجة وضاع شبابها وضاع شبابه في البحث عن لقمة العيش، لا أريد أن أكون ظالمة وأقول كان يجب أن يظل مع زوجته اولا يسافر، فمن أين ستعيش الأسرة، ولكن كان يجب أن يأتي كل عام مرة على الأقل، أو كان يجب أن يأخذ أسرته معه، أو كان يجب أن لا يفكر في الثراء الذي ما أستطاع أن يتمتع به، وأن يكتفي بالحياة الوسطي.

ثم توفي وهو بالخارج وعاد جثة إلى أسرته، وأخذ معه كل أمال الزوجة في أن تعيش مثل غيرها من السيدات المتزوجات، وأصبحت وحيدة فعلا وحقيقية وليس فرضا.

والقصة الثانية: لفتاة تزوجت أحد أقاربها ولكن طلب منها الأم والأب أن تظل معهما ولا تسافر مع زوجها، وأذكر أنني حدثتها في أن تسافر لتري البلاد حتى كنوع من السياحة وأن تكون بالقرب من زوجها، فكان ردها لا تترك والديها وقد كبرا ولا يمكنها تركهما،

وذلك بالرغم أن لديها أخوات أخريات، وبالرغم أنها ليست الكبرى وليست الصغرى أيضا، ولكنها فضلت أن تكون مع أهلها وتركت زوجها أيضا خمسة عشر عاما هو عمر زواجهما، ثم عاد بعد أن أصبح مريضا جدا ولا يستطيع العمل وما أن دخل بيته حتى مات

في منزله الذي ما عاش فيه في عمر زواجه كله سوي عام او عامين، وترك زوجته وأطفاله لتكمل هي مسيرة الحياة وحيدة.

طبعا لا نتحدث عن أقدار، ولكن كثير جدا ما يحدث مثل تلك الحالات، وما أردت قوله من خلال كلماتي، أنه يجب أن يعيش الإنسان أو يحاول أن يعيش حياته بطريقة صحيحة، وأن يعطي حق زوجته وحق أولاده عليه.

وأردت أن أقول أيضا: ليس لزاما أن يسافر الزوج ويغترب ليبتعد عن أسرته، فالواقع يقول أن كثيرين جدا بعيدين عن أسرهم وأولادهم وزوجاتهم دون سفر.

كثيرون جدا يعودون من العمل لتناول الغداء ثم الخروج للمقهى للجلوس مع الأصدقاء ثم العودة وكل الأسرة قد نامت

وكثيرين يمنعهم العمل من الجلوس مع أولادهم والحديث معهم والتقرب من أفكارهم ومشاركتهم. وأحب أن أذكر هؤلاء الناس بأن يحاولوا أن يجلسوا مع أولادهم ولو نصف ساعة يوميا، لأي حديث، وحتي لو يتخلله مشاجرات، فذلك أفضل من التباعد الدائم.

كما أنه في بعض الحالات نجد أن بعض المطلقات تمنع من الرجوع لزوجها تعنتا من الأب أو الأم، أو كراهية في الزوج.

وأحب أن أقول لكل زوجة إذا ذهبتي لبيت أهلك غاضبة فلا تذكري ما يجوز ومالا يجوز وتملئين أهلك حقدا وكرها لزوجك، فأنت غالبا ما تسامحينه ولكن الأهل لا ينسون خطأه معك، ولا خطأه في حقهم.

فكوني أكثر ذكاء ولا تنقلي ما يجب ومالا يجب. وقد يمنع الأهل رجوع بنتهم لمطلقها وذلك مخالفا للشرع وللقرآن.

كما أنه بعض النساء تضطر للحياة مع زوجها وهي كارهة له ولا تريده فقط من أجل أنه يهددها بأخذ الأولاد منها لو حصلت على الطلاق.

وبعضهم يشترط عليها أخذ الأولاد مقابل الطلاق، وبعض النساء لا تستطيع البعد عن أولادها وتضحي بذاتها من أجلهم، والبعض الأخر يرتضي الطلاق ويعيش مقسوم من الداخل، ومقهور ولا تفكر في الزواج بآخر من أجل لا يبتعد أولادها عنها.

بالرغم وأؤكد بالرغم أنه عندما يأخذ الأولاد لا يعتني بهم وربما يتركهم مع والدته أو أحدي أخواته وربما لا يراهم مره كل أسبوع، ولكنه العند والتعنت والكيد.

وبعض الازواج يهدد بل الكل يهدد الطليقة بأخذ الابناء في حالة زواجها من شخص آخر، بالرغم من أن المطلق نفسه قد يتزوج أو يكون متزوجا بالفعل، وبالرغم من علمه علم اليقين أن أولاده مع جدتهم لأمهم أو خالتهم، ولكنه يحتج بأنه لا يريد أن يربي أولاده شخص غريب،

وكل ما يريده أن تظل مطلقته بلا زواج، إمعانا في ظلمها وذلها، فلا يكفيه أنه تزوج عليها فطلبت الطلاق، أو لا يكفيه أنه طلقها وتزوج ويعيش هو حياته، أو لا يكفيه أنه عاملها معاملة سيئة اضطرتها لطلب الطلاق، ولكنه يريد إفساد كل حياتها الباقية.

وبعض الزوجات يتزوج زوجهاعليها من إمرأة أخري ويتركها دون

معاشره الازواج، ولا يهتم لتلك الحقوق، ويتركها فلا هي زوجة تعيش سعيدة ولا هي مطلقة. دون الشعور بأي ذنب.

ويظل دائما الأولاد هم السيف المسلط على رقبة المرأة في حالة إذا ما أرادت الطلاق، فهي بين أمرين أحلاهما مر، إما أن تضحي وتعيش مع شخص لا تربطها به أي مشاعر من أجل أن تكون قريبة من أولادها وإما أن تختار حريتها والبعد عن الأولاد فتعيش حياة مملؤة بالمنغصات وعدم السعادة.

وأيضا حتى لو اختارت الطلاق فيشترط الأب تعنتا منه أن يأخذ منها الأولاد – حتى قانون الأحوال الشخصية عندما أشترط أن تكون أم الأم مسئولة عن الأبناء في حالة وفاة الأم، ولكنه حدد في حالة إذا ما تزوجت الأم بعد طلاقها من والدهم أن لا يعود الأبناء للأب إلا إذا كان لديه من النساء من ينفع لحضانة الأولاد.

وأعتبر القانون أن زوجة الأب تكون بديلا عن الأم، وذلك بالرغم أن الواقع أثبت أن زوجة الأب لا تقوم بدور الأم البديلة، بل بالعكس كثيرا جدا من المعاناة النفسية التي يتعرض لها الأبناء والتي تظل معهم طوال حياتهم ناتجة عن أسلوب تعامل زوجة الأب مع الأبناء، وأثبتت أيضا أن معاملة الجدة لأم أو الخالة هي أقرب إلى نفوس الأبناء ووهي أسلم في التعامل وفي نشؤ أبناء في حالة نفسية أفضل،

وفي مثل تلك الحالات لا يدفع الثمن سوي المرأة، التي يجب أن تتخلي عن احتياجاتها كأنثى في مقابل الاحتفاظ بالأبناء.

ونجد أن الرجل لا يهتم سوي بحقوقه هو بل أن العند هو

الشيء الوحيد الذي يسيطر عليه تجاه زوجه ربما يكون هو السبب في طلاقها او طلبها للطلاق.

ومن الأشياء التي تجعل المرأة لا تقدم على الطلاق أيضا نظرة المجتمع الشرسة للمرأة المطلقة، فقد حكت لي صديقة تعمل موظفة في مكان مرموق في قنا (أقصد الصعيد) لما ما كان يجب أن يتميز به من نخوة وشهامة ورجولة، فقد قالت لي بالحرف أن بعضا من زملاءها الذين كانوا يعاملونها باحترام عندما كانت متزوجة، فقد تغير سلوكهم معها بعد الطلاق، وأصبح كثيرون منهم يطمعون فيها، وتغيرت أساليبهم وسلوكياتهم، لدرجة أنها اخبرتهم أنها عادت لزوجها لكي يحترم كل متطفل نفسه معها

وإن كان ليس بالضرورة أن كل الرجال بتلك الصفات القذرة، ولكن كثيرين منهم كذلك، وكثيرين منهم لا يحترمون أنفسهم ولا يحترمون الآخرين.

وأذكر هنا في يوم تكريم الأمهات المثاليات من الرئيس السيسي يوم ٢٢مارس ٢٠١٥، كان من ضمن المكرمات أم من محافظة الأقصر ترتدي ثياب الرجال، وقيل أنها كانت تعمل من أجل الإنفاق على نفسها وعلي أبنتها، وكانت ترتدي تلك الملابس طوال حياتها

فنسأل أنفسنا هنا. ما الذي دعا هذه المرأة للتخلي عن كل ما يمت للأنثى بصلة، وارتداء ثوب رجل، السبب بسيط جدا والجواب واضح لأنها أرادت حماية نفسها من طمع بعض الرجال فيها ومضايقتهم لها.

لماذا لا يحترم البعض ضعف بعض، لماذا نطارد الضعيف

ونقسوا عليه، ونضيف إلى ضعفه ضعفا آخرا وهما آخر ومأساة أخري.

ان الذي يأكل القوي فيه الضعيف هو عالم الحيوان ولكن عالم الإنسان أفضل وأنقي وأطهر، أو هكذا المفروض وما يجب أن يكون.

لماذا لا يفكر الرجل أن تلك المرأة يمكن يوما أن تكون في نفس مكانها زوجته أو أخته، لماذا لا يفكر الإنسان في أن الأعمار غير مضمونة وأن السياج الذي يظن أنه يحمي به أسرته لا يدوم، وأن القوة الحقيقية تكون في حفظ الله، وكيف له أن يطلب أن يحفظ الله أسرته وهو الذي لا يراع حرمة الناس ولا يحفظ أعراض الناس.

*****

التفرقة الخامسة: التضحية تجب على المرأة فقط

التضحية والتعايش مع زوج مريض أو به أيه علة تمنعه من القيام بواجبه الشرعي تجاه الزوجة، وهنا نجد شيئا غريبا جدا حيث أن، كل المجتمع يقف ضد المرأة ويطالبونها بالتحمل، أو أن المجتمع يعتبرها عديمة الحياء، فكيف لها أن تتحدث عن رغباتها وتطالب بها وذلك بالرغم أنها ربما هي لا تستطيع هذا التحمل، وقد يحدث أن بعض النساء ضعيفات وذلك يدفعهن إلى ارتكاب المحرمات.

بالرغم أن الدين أعطي للمرأة الحرية الكاملة في أن تستمر أو ترفض الاستمرار دون قيود أو شروط.

ولكن المجتمع الشرقي خاصة يجد أنه على الزوجة أن تضحي وأن تستمر مع الزوج فلا يجوز لها أن تتخلي عنه في ظروف مرضه، ونفس هذا المجتمع هو الذي ينصح الزوج بالزواج عندما تمرض زوجته.

وهو الذي يوجد له المبررات في الزواج، ويساعدونه فكيف له أن يعيش مع زوجة مريضة. ويبررون ذلك بأنه في حاجه إلى خدمة النساء، وحتي لو كانت عنده خادمة.

بل أن الرجل نفسه يقدم تبريرا للزواج بأنه يريد من تخدمه، وتكون بناته كبار يستطعن خدمته ولكنه يرفض ذلك، ولا أقصد بذلك أنه فرضا على الزوج أن يستمر مع زوجته المريضة، ولكن ما قصدته أنه لا يجب أن نفرض على المرأة الاستمرار مع الزوج المريض. يجب أن نترك لها حرية الاختيار، فهي وقدرتها وهي

ومشاعرها، وهي واحتياجاتها.

فلا يجوز للمجتمع أن يجعل من نفسه حارسا وحكما على الغير، ويفرض عادات وتقاليد، بعيدة عن الدين

فليس من العدل أن نجبر إنسانة على شيء فوق قدرتها كبشر، أما أن كانت هي من تحمتل وتختار التضحية وتتحمل المعاناة برضاء من نفسها، وبشعور صادق في رغبتها البقاء حفظا لعشرة طيبة، أو حب لزوج أحبته، فذلك وشأنها.

ولذلك ربما تعيش بعض الزوجات الشابات مع أزواجهن المرضي، ولا تستطيع التحمل ويصل الأمر بهن للخيانة

وربما لا تفكر في الخيانة ولكنها تتعرض لضغوط نفسية وعصبية، وكثيرات مريضات نفسيا ويتعاملن مع الآخرين بعنف،

وذلك نظرا لما يعانينه من ضغط نفسي وقهر نفسي. إن البشر لا يشعرون باحتياجات البشر أمثالهم، دائما غريبة النفس البشرية.

ومما سمعت يوما عن امرأة طلبت الطلاق من زوجها لأنها ليست سعيدة معه في حياتها الخاصة، وذهبت لمنزل أهلها ورفضت العودة إليه، وأصرت على الطلاق وأخذت بناتها منه معها، ثم تزوجت من غيره وعاشت سعيدة مع الزوج الثاني والذي كان له زوجة أخري وأبناء من زوجته الأولي، ومرت السنوات وتزوجت أبنتها من أبن زوجها، وكان الأبن غير قادر على معاشرة النساء، وظلت أبنتها بكرا لسنوات، ومع ذلك لم تساندها في طلب الطلاق، بل لم تسمح لها بذلك، بحجة أن والد الزوج صاحب فضل عليها وعلي أخوتها وساهم في تربيتهم.

والغريب في ذلك أن الام فرضت على بنتها أن تتحمل حياة هي نفسها لم تتحملها، ظلمت المرأة المرأة، ولم يظلمها الرجل. مليئة حياة الريف على الأخص بظلم النساء والفتيات، وذلك لان المرأة هناك لم تتعود على المطالبة بحقها، ربما خجلا وربما ضعفا وربما احتياجا لمن ينفق عليها، حيث لا تملك قوت يومها.

البطر:

كما أنه لا يفوتنا الحديث عن نوع من الأزواج وهو الزوج البطران أو الزوجة المتبطرة، وهذا النوع من البشر تراه يحلم ويطمح ويتمني أن يتزوج، ويختار عن اقتناع كامل حين يختار، ثم بمرور الزمن يتغير حاله فقد يرتقي في وظيفته أو يحصل على مؤهل أعلي، أو يصبح أكثر غني من ذي قبل..

ونجد أن أول ما يفعله هذا الزوج وكذلك يحدث نفس الشيء من بعض الزوجات، ولكن الزوج أكثرالأحوال في النهج على هذا السلوك لأنه دوما من حقه أن يحتفظ بالزوجة فلا خسران عليه، فهو يري أن الشرع حلل له أربع زوجات.

بغض النظر عن شرط الدين عدله مع كل واحده، وبغض النظر عن موافقة الزوجة السابقة، وبغض النظر عن كونها عاشت معه ايام سوداء وتحملت الفقر والتعب والحرمان،

وبغض النظر عن كونها شريكته في نجاحه أو تفوقه أوكانت هي السبب والسند.

وبغض النظر عن كونها ارتضت به وهو بحالته الأولي، وبمستواه العلمي أو حالته المالية البسيطة أو مستواه الاجتماعي فهو يجد أن من حقه أن يواكب حالته الجديدة التي وصل إليها، حتى المحبون منهم والذين تزوجوا سابقا عن حب فأنهم يجدون ألف مبرر للوصول لإنسانة أخري، ويعلق الزوج كل تصرفاته اللاحقة على رغبته في الارتباط بالأخرى على أن الزوجة الأولي مخطئة أوغير نظيفة أولا تراعيه ولا تهتم به وأنها نكديه ودوما تنكد عليه حياته، ويحاول أن يقنع الآخرين أن بها كل عيوب الأرض ليبرر فقط تصرفه لهم ولنفسه.

وهذا النوع من البشر كا ما أراده فقط أن يغير من حياته الاجتماعية بما يتواكب مع الظروف الجديدة.

ويبدأ في التأفف ورفض الحياة والانتقاد المستمر واللاذع والجارح كثيرا، ويجد لنفسه عيوب في الطرف الآخر ويبدأ في التقليل من شأنه سواء سرا أو حتى أمام الناس،

وكأنه يريد أن يقدم لنفسه مبررا لتصرفاته أو ربما ليجعل ضميره مرتاح، والبعض يسعي إلى استفزاز الطرف الآخر، فيرد عليه فيخلق لنفسه أسبابا للابتعاد أولها أنه لا يوجد تفاهم وأنه غير مستريح في حياته الأسرية، وهو يعلم من داخل نفسه أنه كاذب.

ولكن دائما نبحث عن المبررات لكي ترتاح ضمائرنا المتعبة، إلي أن تنام وتستريح تماما بالقضاء على الطرف الآخر وتجاهله تماما أو تجاهل كل شيء خاص به.

قديما كان السبب هو اغتناء الزوج وكان المبرر دائما واحد، وهو أن الزوجة الأولي كبرت وهو يريد أن يعيش حياته سعيدا، أو يريد أن ينجب أولاد زياده وهي فرصتها نقصت في إنجاب الأولاد،

لكن الآن تغيرت الوسائل والأسباب بما يناسب العصر، فهو يتطلع لإنسانه يريد الحديث معها وإنسانه تفهمه، وكأنه كان متزوجا سابقا من أبي جهل، أو أنها لا تعرف تنطق كلمتين على بعض، دائما يجدون المبرر، ولو لم يكن موجودا فأنهم يوجدونه لإقناع البشر الآخرين والذين لا يعنيهم من الأمر شيء، والأغرب أنه عندما تطلب الزوجة الأولي الطلاق، يتم رفض الطلب، ليستمر في ظلمه لها ويعيش معها أو يعيش بعيدا عنها باخسا حقوقها المادية والمعنوية رغم أنه لا إكراه في زواج طبقا للشرع.

*****

المرأة والقانون

لم ينصف القانون المرأة إطلاقا فلم يعطيها كثير من الحقوق، فرق بين من يضبط زوجته متلبسة بالزنا ويقتلها، ومن تضبط زوجها متلبسا بالزنا وتقتله، أعتبر أن من حقه أن يفعل ما يشاء وأعتبر أنه لا يحق لها أن تغار

الله سبحانه جعل عقوبة الزاني والزانية هي نفس العقوبة، ولكن القانون فرق في العقوبتين، بل بالعكس القانون يعاقب إذا ما خططت زوجة لاكتشاف جريمة زنا زوجها، والقانون لا يعتبر الزوج مخطأ في حق زوجته إلا إذا كان الزنا على فراش الزوجية، أما في أي مكان غير ذلك فلا ضير.

القانون جعل عبء إثبات سوء المعاملة على الزوجة ولكن حده بشروط كثيرة جدا. محاضر إيذاء في الشرطة، أو شهادة شهود غير الأهل، فإذا ما ارادت المرأة الطلاق عانت الأمرين في إثبات الضرر الواقع عليها، وكثيرا جدا لا تستطيع إثبات الضرر، وتعيش مرغمة كارهة.

ولكن كان لقانون الخلع أكبر فضل في تحرير كثيرا جدا من النساء من ذل العبودية والقهر والبقاء في حياة قريبة من الموت، ربما الموت أفضل منها لأنه قدر، وهو أفضل من الحياة في ذل.

*****

العنف ضد المرأة

وما وددت أن أنهي كتابي ولا أتحدث عن نوع من القهر والظلم، وإن لم يكن هناك نص صريح شرعا، وهذا القهر يخالفه إلا إنها هي مخالفة للشرع من حيث أن الشرع وصي بالعدل، وتكافؤ الفرص، ونجد أن البشر يخالفون الشرع بعملهم بالظلم وهذا الظلم الذي يقع على المرأة هو ناتجا من ظلم الرجل لها بعدم العدل.

وأنا شخصيا تعرضت لذلك عندما كنت أبحث عن فرصة عمل بدولة بالخليج، فكانوا يفضلون الرجل لو تقدم لنفس المكتب رجل في نفس الوقت ولا أعرف لماذا كانوا ينتقصون من راتب النساء ولا يجعلونه مساويا لراتب الرجال، لا أدري.

وكثير جدا من الشركات، والقطاع الخاص عندما تتقدم امرأة ورجل لنفس العمل فأنهم يفضلون الرجل ولا أدري على أية اعتبارات يعتمدون.

بالرغم أن المرأة تفعل ما يفعله الرجل بالضبط في العمل، وبالرغم من نجاحها، وحتي حجة أن الرجل أقدر على الحركة والسفر، كانت المرأة تسافر وتتحرك أكثر منه، لا أعرف لماذا فعلا هذا الاضطهاد، لا أعرف لماذا تلك العدوانية وحتي ولو لم تكن عدوانية ظاهرة، فهي عدوانية مختفية ومقنعة في اختيار لا يقوم على أساس سليم من العدل والمساواة، طبعا البعض يقول ربما لأن المرأة سوف تطالب بإجازات حمل ووضع، ولكن حتى لو تأكد رب

العمل أن ذلك لن يحدث أو أن المرأة متفرغة تماما للعمل، فهو أيضا يختار الرجل.

والشيء السيء فعلا أنه عندما يتم اختيار المرأة في بعض المهن يكون معيار الاختيار لصالح العمل كما في الأعمال التي تتطلب جذب الزبائن فيكون استغلالا لجمالها أو طريقة تعاملها مع الزبائن، وذلك أيضا نوعا من القهر والعنف والضغط النفسي بعدم احترام ذاتية الإنسان.

*****

أخيرا: همسة في أذن كل إمرأة

ان الرجل هو محور كل حياتك، لا تعامليه بالعند والقسوة فتخسريه، ولا تعامليه بالإهمال فتخسري قلبه، أنه فعلا مصدر الأمان والمشاعر الجميلة.

وأنه مصدر الحنان. الآباء هم أقرب الرجال إلى المرأة ويليه العم والخال أو الأبن والأخ، والزوج، لا أريد أن يكون الرجل هو من وجهه نظر المرأة الزوج فقط.

سيظل الرجل هو الأمن فعلا، وربما لأن الخطر أيضا من الرجال، حيث أنه لو يوجد مجتمع بغير رجال فلن تطلب المرأة حماية الرجل لها بالطريق أو بالسفر أو في الحياة عموما، فكما أنه مصدر الخطر (أقصد الرجل الغريب الذي يحاول الإيذاء)، فهو مصدر الأمن.

*****

الوجـــــــــود

كل ما أريد قوله في الختام لا تعيشي يا فتاة حياة الزيف، حاولي أن تكوني صادقة مع نفسك وصادقة مع الغير، لا تكوني منافقة ولا مستغلة للآخرين ولا مستغلة منهم، ولا تضحي بنفسك من أجل أي شيء فوق طاقتك وانت راغمه.

لا تعيشي مع رجل من أجل أطفالك فقط، فتضحي بنفسك من أجلهم ولا تعيشي مع زوجك وانت كارهة له من أجل العيش والمأوي كي لا تكوني منافقة مستغلة له

لا تعيشي في حياة وانت مقهورة، حاولي العمل في أي عمل دون أن تعرضي روحك للقهر، فقهر البدن أخف بكثير من قهر الروح، اشتغلي أي عمل حلال ولكن لا تكوني وسادة لزوج وانت تكرهينه.

لا توافقي على زوج وانت غير راضية عنه من أجل عادات أو تقاليد، إستعملي كل حق أعطاه لك ربك، المهم رضاء الله أولا ثم رضاء نفسك.

رضاك انت بعد رضاء الله خاصة فيما يتعلق بالحياة الخاصة جدا والتي هي الزواج، فلا أحد سيذهب معك في غرفة النوم، إذا لم تكوني راضية عنه فلا توافقي، لا أحد سيعيش حياتك، هو عمرك سيمر وينقضي ولن يعود لك منه يوم لكي تعيشيه مرة أخري، لا يوجد في الحياة ما يسمي فلاش باك، العمر يمضي سواء حلوا أو مرا.

لن ينفعك أن ترضي أي شخص على حساب نفسك وعلي حساب ذاتك. أستشيري من شئت وأسألي كما تشائين، ولكن القرار لك وحدك، والمفروض أن يعترف الأهل بذلك، أن يقوموا بالنصح والنصح فقط، ولكن لا يفرض شخص على شخص رأيه أو يجبر شخص على الحياة مع من لا يريد.

كما أود أن أقول لمن ليس لديها مسكن أو عائل أو مصدر دخل أو عمل، إذا كان زوجك سيئا في سلوكياته معك، وانت لا تملكين مأوي فأحسني معاملته، ليس من أجل أن تستغليه وتكذبي عليه، لا ولكن أحسني معاملته شكرا لله، أتقي الله فيه، فعندما يوفر شخص لشخص أخر مكان من أربعة جدران فيجب أن يشكره على ذلك، ومن آيات الشكر حسن المعاملة، فربما حسن المعاملة تغير كثيرا من المشاعر، يجب أن تشكري الله أن جعل لك زوجا يوفر لك مسكنا ومأكلا، تقولين ولكنه يهينني وأقول لك أصبري، فالصبر مفتاح الفرج.

وأقول لكل رجل لا تستغل احتياج زوجتك لك ماليا، فأنه لو أتقيت الله فيها لفتح الله لك بركات من السماء، وكلما كانت متعبة وكنت أنت تتحمل تعاملها السيء معك فثق إن الله سيعوضك خيرا في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وأقول لك إن أيه امرأة مهما كانت قاسية تلين من الكلمة الحسنة، ومن الإطراء فالنساء يعشقن الإطراء من الزوج خاصة، فكل كلمة طيبة سيكون وقعها كبيرا على نفسيتها وعلي سلوكها معك ومع أولادها.

وحاول أن تكون متعاونا، فعبء تربية الأبناء كبيرا خاصة بعد خروج المرأة للعمل حاليا، ولا تقل لها أجلسي بالبيت وترفض عملها، فإن عمل المرأة جزء من كيانها، فلا تضغط عليها من أجل نفسك فقط وتتجاهل احتياجاتها هي كإنسان يريد أن يشعر بذاته وبكيانه .

كما أرجو من كل فتاة أو امرأة أن تفكر جيدا قبل اتخاذ أي قرار. وأن تستشير وأن تفكر بعقلها وان تترك لقلبها الاختيار أيضا، فإن سعدت في حياتها فيكفيها السعادة، وإن فشلت في تلك الحياة فلا تلصق الخطأ بالآخرين، بل تستفيد بما حدث من خطأ عسي ألا تكرر نفس الخطأ.

لا تختاري زوجا والسلام من منطلق أن هذا أفضل من أن يقول الناس انك وحيدة، أو أنك عانس، أو أنك مطلقة، كوني قوية وواجهي المجتمع بما تريدينه أنت، لا بما يريده الناس من حولك

لأنهم في كل الأحوال سوف يتحدثون ويثرثرون، وفي كل الأحوال كل شخص يتمني أن يكون هو أسعد منك، كل الذين تحدثوا عن الناس وأثروا في حياة الآخرين، وقرروا لصالح غيرهم، ما أثر عليهم فشل هؤلاء الناس في الحياة أو سعادتهم فيها بعد ذلك.

كثيرون يتحدثون مع إنسانة أنها لا يجب أن تظل كذلك وانه يجب أن تتزوج، وأنها يجب ألا ترفض العريس، وتأخذ برأيهم وعندما تفشل حياتها لا يعيرونها اهتماما بل ربما يتحدثون عن فشلها.

ليت الناس تكف عن التدخل في حياة الآخرين، وتكف عن الحديث عن الآخرين، وكل شخص يشغل نفسه بما يعنيه هو.

ولا يقدم النصح إلا لمن يرغب في ذلك، ولا يقدم النقد إلا لمن يطلب النقد أو المشورة، ولا يهين الآخرين ولا يتندر عليهم ولا يستنقص من شأنهم ولا يتفاخر بما أعطاه الله له سواء من مال أو زوج أو أولاد أو سعادة، فكل شئ عطية من الله، ولو شاء الله لأعطي كل الناس على قدر سواء، لأنه هو مالك الملكوت وهو الواهب وهو المانع، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أو بمعني أدق لا يشكرون.

كثيرا ما يقابلك أشخاص ويسألونك عن شيء ينقصك فيسببون لك حزنا، ويمضون إلى حال سبيلهم غير عابئين بما حدث لك، يسألون من لم تتزوج بعد. مفيش عريس كده ولا كده؟ أو أمتي هنفرح بيكي؟

والله يعلم أنهم لو يريدون أن يفرحوا بها حقا ما سألوها، لأنها لو عندها جديد لأخبرتهم.

ويسألون من لم تنجب، لماذا أنت ي ساكته؟ لماذا لا تذهبي للطبيب؟

ويظلون يسألون ويسألون ويضايقون، وينصحون الزوج بالزواج من أخري، وإذا تزوج وعاش سعيدا تصيبهم الغيرة، ولو تزوج وفشلت حياته لا يعبئون لأمره.

وكما أنصح الرجال أقول في الختام لكل سيدة أو كل بنت أن الله إذا أوجد في حياتك رجلا فقد أعطاك نعمة يجب أن تشكريه عليها، ومن الشكر الإحسان إلى ذلك الرجل ومعاملته بالحب والمودة إذا كان ودودا محبا، ومعاملته بالتسامح والتغاضي عن الخطأ إذا كان سيئا مملا، ولكن في كل الأحوال لا تضغطي على نفسك من أجل أحد ولا تحملي نفسك فوق طاقتها، فبعض الرجال تحسن سلوكهم وتعدله المعاملة الحسنة.

وكما يقولون في داخل كل منا طفل، ولكن بعض الرجال يطمعون أكثر في حال استسلامك لضغوطهم وضعفك وتفانيك في إرضائهم، فكوني بين بين، وأستعملي عقلك وقلبك معا.

فإذا كان زوجك محبا مخلصا فقد أعطاك الله كل شيء، وإذا كان محبا وغير مخلص – وذلك أغلب الرجال – فقد أعطاك الله نعمة كبري

وإذا كان غير محب وغير مخلص ولكنه محترم في التعامل، فقد امتلكت شريك يؤنس حياتك، وإذا كان سيء الخلق فقد أعطاك الله شيئا تكفري به عن ذنوبك وتدخلي بصبرك عليه الجنة من أوسع الأبواب لو تحملتي إساءته.

ولكن في كل الأحوال لا ترضخي من باب الضعف، ولا تستسلمي من باب الاحتياج، فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها، فلا تحملي نفسك فوق طاقتها، فمن جعل الرزق لكل مخلوق حتى النمل في باطن الأرض لن يعييه رزقك، وإذا أردت أن تتحملي من أجل أولادك يظلوا مع والدهم فهو جهد يثيبك الله عليه، ولكن بشرط ألا تمتهن

كرامتك كل يوم من أجل ذلك، ولا أن تسحق أنوثتك تحت حذاء إنسان لا يعرف الله

فإذا كان لا يتق الله فيك وفي حقوقك كإنسان فلا تكوني أنت ممن يضيع حق نفسه بالتضحية بالبدن والروح والعيش في مذلة، فالرازق فوق سبع سموات حي لا يموت،

وأقول لكل رجل أتقوا الله في النساء، فلا تظلموهن في أي شيء سواء أبنتك أو أختك أو أمك، أكرموهن ولا تظلموهن ولا تأخذوا حقوقهن. وقد قال رسوله الكريم أتقوا الله في الضعيفين المرأة والطفل.

وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم رفقا بالقوارير "، ويكفينا هذا الحديث لما فيه من دلالة واضحة على حال المرأة، فالمرأة مثل الزجاج، مهما كانت قوية، يصعب رجوعها كما كانت أو بمعنى أدق يستحيل رجوعها كما كانت، متى كسرت مثلها مثل الزجاج فكما أن الزجاج مستحيل أن يعود للالتحام، أو حتى ترميمه مرة أخرى إلا بدرجة حرارة عالية جد ا تغير منه تماما فكذلك إذا كسرت المرأة في مشاعرها

أو في ثقتها فلا يمكن أن تعود كما كانت سواء مع ذات الشخص أو مع شخص غيره. ودوما يظل بداخلها شيء مهما حاولت أن تظهر غير ذلك ،ويبقي ما بداخلها مجروح مكسور غير ملتئم.

والمرأة حتى وإن غفرت لا تنسى، ولكنها قد تسامح لتستمر الحياة، و ذلك لأن الشروخ النفسية يصعب علاجها لدى الإنسان عموما، لكن لدى المرأة بشكل خاص فمن المستحيل علاجها وحتي إن قابلت شخصا آخر أو بديلا عمن جرحها فإنه يبقى بداخلها خوف وترقب من المستقبل فلو كسرت لن تلتئم، وقد صدق رسولنا الكريم عندما شبه النساء بالقارورة.

قال الرسول- ﷺ-: "اتقوا الله في الضعيفين: المرأة واليتيم".

ثم كان آخر كلامه في حجة الوداع يوم الوقوف بعرفة وصيته بحسن معاملة النساء

أما بعد، أيها الناس: اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا.

أيها الناس: إن دماء كم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلَّغتُ؟ اللَّهم اشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها. وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أن لا ربا، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمِّي العباس بن عبد المطلب. وإنَّ دماء الجاهلية موضوعة... وإنَّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية. والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده، كتاب الله وسنتي؟ ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن ر بكم واحد، وإن أباكم واحد، كلُّكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى.

ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فليبلغ الشاهد الغائب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.....

صدق رسول الله ﷺ.

*****

ما تم إضافته في الطبعة الثانية

ولا يفوتنا الحديث في هذه الطبعة الثانية عن صدور تعديل في قانون معاقبة من يقوم بختان الأنثى حيث لما لذلك من ضرر نفسي يقع على الفتاة، وضرر حقيقي في انتقاص حقها في أن تحيا حياة زوجية سعيدة، لما ثبت من الأضرار التي تلحقها طبقا لرأي الأطباء في ذلك.

فقد نص القانون على تجريم الختان وقرر له عقوبة رادعة

عقوبة ختان الإناث التى أقرها قانون العقوبات المصري، وفقا لآخر تعديل لهذه العقوبة فى عام ٢٠١٦، وذلك كالتالي:

١ . تغليظ العقوبة على من يقوم بختان الإناث، وذلك بالسجن مدة لا تقل عن ٥ سنوات ولا تتجاوز ٧ سنوات، وذلك بعد أن كانت العقوبة فى القانون قبل التعديل متمثلة فى الحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ولا تتجاوز سنتين أو بغرامة لا تقل عن ألف جنيه ولا تتجاوز ٥ آلاف جنيه.

٢ . تضمن التعديل الأخير النص على أن يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تجاوز ثلاث سنوات كل من طلب ختان أنثى وتم ختانها على النحو المنصوص عليه بالمادة ٢٤٢ مكررا من القانون).

٣ . وفقا للتعديل الأخير، عرف ختان الإناث بأنه "إزالة أيا من الأعضاء التناسلية الخارجية بشكل جزئى أو تام أو إلحاق إصابات بتلك الأعضاء دون مبرر طبى".

٤ . معاقبة من يقوم بختان الإناث ويترتب على الختان عاهة مستديمة أو وفاة بالسجن المشدد.

أما بخصوص الميراث وظلم الإناث وهو الموضوع الأساسي لكتابي

فقد أرسلت نسخا من الطبعة الأولي لفضيلة شيخ الأزهر الإمام الدكتور / أحمد الطيب، وأرسلت نسخة لمجلس الوزراء، وكذلك لبعض أعضاء مجلس النواب محمد أنور السادات والسيد البدوي وآخرين، وأرسلت نسخة لنقيب المحامين وجهات عدة، وكنت من الذين ساهموا بقوة في تعديل قانون المواريث بصدور المادة بعد تعديل بعض أحكام القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ بشأن المواريث لتنص على ما يلي :-

"مع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد ينص عليها قانون آخر، يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر وغرامة لا تقل عن عشرين ألف جنيه، ولا تجاوز مائة ألف جنيه، أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من امتنع عمدا عن تسليم أحد الورثة نصيبه الشرعي من الميراث رضاءً أو قضاءً نهائياً، أو حجب سندا يؤكد نصيباً للورث، أو امتنع عن تسليم ذلك السند حال طلبه من أي من الورثة الشرعيين".

كما نص مشروع القانون على أنه "في حالة العودة لأي من الأفعال السابقة تكون العقوبة الحبس الذي لا تقل مدته عن سنة، وللمجني عليه أو وكيله الخاص ولورثته أو وكيلهم الخاص، إثبات الصلح مع المتهم أمام النيابة العامة أو المحكمة بحسب الأحوال، وذلك في الجنح المنصوص عليها في هذه المادة، ويجوز للمتهم أو وكيله الخاص إثبات الصلح المشار إليه في الفترة السابقة".

وأجاز مشروع القانون الصلح في أي حالة كانت عليها الدعوى، وبعد أن يصبح الحكم باتا، ويترتب على الصلح انقضاء الدعوى الجنائية ولو كانت مرفوعة بطريق الادعاء المباشر، وتأمر النيابة العامة بوقف تنفيذ العقوبة إذا حصل الصلح أثناء تنفيذها، ولا أثر للصلح على حقوق المضرور من الجريمة.

ولكن ما زالت المشكلة قائمة وما زال التطبيق الفعلي للقانون غير مفعل، ولقد تحدثت عن ذلك في لقاءات تلفزيونية وإذاعية من أجل تطبيق قانون المواريث بعد التعديل حيث أن بعض القضاة يرون ضرورة وجود حكم فرز وتجنيب للتركة، فما فائدة التعديل اذن إن كان القانون قبل التعديل يشترط وجود حكم فرز وتجنيب.

اقترح ان يتم بعد استخراج شهادة الوفاة للمتوفي وعمل إعلام الوراثة إن يكون عمل حصر التركة وتقسيم الميراث عن طريق المحكمة حتى لو لم يتقدم الورثة بطلب التقسيم.

يكون هو قرار إجرائي

ويتم التقسيم عن طريق المحكمة.

ويصدر بذلك حكم يشمل انصبة الورثة جميعا. حتى ولو لم يكن ضمن الورثة أولاد قصر.

أما التنفيذ فلكل وارث أو وارثة كما يشاء.

لكي نضمن وصول الحقوق إلى أصحابها.

لا أن يترك الأمر هكذا دون تقسيم.

متروكا لضمير الأكبر سنا أو الذكور لإعطاء ما يشاءون لمن يشاءون ويتم ظلم الأضعف.

فيجب تعديل القانون للحفاظ على حقوق البشر.

كما يتم وضع مواد لعقوبة من يؤذيهم.

أو ينظم تعاملاتهم الأخرى.

فالميراث من أهم الحقوق التي يجب الحفاظ عليها.

*****

معلومات عن المؤلف

كواعب أحمد البراهمي
تعمل محامية بالنقض من نجع حمادي في صعيد مصر.
كاتبة مقالات إجتماعية وسياسية في:
موقع صدي البلد الإلكتروني
وجريدة عقيدتي الورقية
وجريدة أخبار قنا
والعديد من الجرائد الإلكترونية منها:
العهد الدولية
والحياة نيوز
وعاجل مصر
والصدي نت
وصدي الأمة
ومصر أون لاين
جريدة الموجز العربي.

ولها عدة مؤلفات منها:
كتاب **(أنه ألحد)** والذي يناقش موضوع العقيدة، والوصول إلى الإيمان بوجود الخالق العظيم الذي يدبر الكون. - صدر منه الطبعة الثانية

وكتاب **(خلف الجدران)** وهو عبارة عن مجموعة قصصية – عبارة عن قصص واقعية ومناقشة المشكلات المجتمعية وكيفية حلها. – صدر منه الطبعة الثانية

وديواني شعر **(أبجدية حب)** و**(شطر الحسن)** فصحي.

وديوان **(حلم البنات)** بالعامية صدر منه الطبعة الثانية.

وكل تلك الإصدارات شاركت وتشارك في معرض القاهرة الدولي للكتاب وكذلك في المعارض الدولية بالدول العربية وبعض الدول الغير عربية.

تشارك المؤلفة في اللقاءات التلفزيونية والإذاعية والبرامج الحوارية، برنامج مستشارك القانوني.

*****

المحتويات

الإهداء ٥
المقدمة ٧
الباب الأول ١٥
الباب الثاني ١٨
الباب الثالث ١٩
الباب الرابع ٢٨
الباب الخامس: الفارق في المعاملة بين البنت والولد. ٣٢
التفرقة الأولى: التربية ٣٢
التفرقة الثانية: الميراث ٣٨
التفرقة الثالثة: اختيار الزوج ٥٢
التفرقة الرابعة: الطــلاق ٨٥
التفرقة الخامسة: التضحية تجب على المرأة فقط .. ١٠٢
المرأة والقانون ١٠٧
العنف ضد المرأة ١٠٨
أخيرا: همسة في أذن كل إمرأة ١١٠

الوجـــود ١١١
ما تم إضافته في الطبعة الثانية ١١٩
معلومات عن المؤلف ١٢٣